البابُ الثَّاني

اسمعوا، يا سادة - هداكم الله إلى طُرق السعادة - أني أنا المُسْتفتي وأنا المدّعي. وما أتكلّم بحجاب بل أنا على بصيرة من ربّ وهّاب. بعثني الله على رأس المائة، لأجدّد الدين وأنوّر وجه الملّة، وأكسّر الصليب وأُطفئ نار النصرانية، وأقيم سنّة خير البريّة، ولأُصلح ما فَسَدَ، وأروّج ما كَسَدَ. وأنا المسيح الموعود والمهدي المعهود. مَنَّ الله عليّ بالوحي والإلهام، وكلّمني كما كلّم برسله الكرام، وشهد على صدقي بآيات تشاهدونها، وأرى وجهي بأنوارٍ تعرفونها.

ولا أقول لكم أن تقبَلوني من غير برهان، وآمنوا بي من غير سلطانٍ، بل أنادي بينكم أن تقوموا لله مقسطين، ثم انظروا إلى ما أنــزلَ الله لي من الآيات والبراهين والشهادات. فإن لم تجدوا آياتي كمثل ما جرتْ عادة الله في الصادقين، وخلتْ سُنّته في النبيّين الأوّلين، فرُدّوني ولا تقبلوني يا معشر المُنكرين. وإن رأيتم آياتي كآيات خلتْ في السابقين، فمن مقتضى الإيمان أن تقبلوني ولا تمرّوا عليها معرضين.

أتعجبون من رحمة الله وقد جاءتْ أيّامها؟ وترون الملّة ذاب لحمها وظهرتْ عظامها، وكُبّر أعداؤها وحُقّر خُدامها. ما لكم

ترون آيَ الله ثم تُنكرون؟ وترون شمس الحق أمام أعينكم ثم لا تستيقنون؟

أيّها الناس.. تمّتْ عليكم حجة الله فإلامَ تفرّون؟ وإن آياته من كلّ جهةٍ ظهرت، والإسلام نــزل في غار الغربة وأوامره تعطّلت، وكلّ آفةٍ عليه نزلت، وكلّ مصيبةٍ كشرت له أنيابها، وكلّ نحوسةٍ فُتح عليه بابها، والألْفُ السادس الّذي وُعد فيه ظهور المسيح قد انقضى، فما زعمكم.. أأخلفَ الله وعده أو وفّى؟ ألا ترون كيف اتّفقت الأمم على خلاف هذه الملّة، وصالوا عليه متّفقين كسباع تخرج من الأَجَمة الواحدة، وبقي الإسلام كوحيدٍ طريد، وصار غَرَضَ كلِّ مَريد، وللأغيار عيدٌ، وقمرُنا ذو القعدة، قَعَدْنا كالمنهزمين من الكَفَرة بكمال الخوف والرِّعْدة، وهم يطعنون في ديننا ولا كطَعْن الصَّعْدة؟ فعند ذلك بعثني ربّي على رأس المائة. أتزعمون أنه أرسلني من غير الضرورة؟ ووالله إنّي أرى أن الضرورة قد زادتْ من زمانٍ سَبَقَ، وولّى الإقبال كغلامٍ أَبَقَ. وكان الإسلام كرجل لطيف البُنْية، مليح الحلْية، والآن ترى على وجهه سواد البدعات، وقروح المحدَثات، ونُقل إلى الغثّ سمينُه، وإلى الكدر مَعينُه، وإلى الظلمات نوره، وإلى الأخرِبة قصوره، وصار كدارٍ ليس فيها أهلها، أو كوَقْبَة مَشارٍ ما بقي فيها إلا نخلُها. فكيف تظنّون أن الله ما أرسل مجــدّدًا في هذا الزمان، وكان وقت نــزولِ المائدة لا وقت رفعِ الخِوان. وكيف تزعمون

أن الله الكريم عند ازدحام هذه البدعات وسيل السيئات، ما أراد إصلاح الخلق، بل سلّط على المسلمين دجّالا منهم ليهلكهم بسمّ الضلالات؟ أكان دجلُ النصارى قليلاً غير تامٍّ في الإضلال، فكمّله الله بهذا الدجّال؟ فوالله ليس هذا الرأي من عين العقول والأبصار، بل هو صوت أنكَرُ مِن صوت الحمارِ، وأضعف مِن رَجْعِ الحُوار.

ثم مع ذلك كيف نــزلت الآيات تَتْرَى لتأييد رجل يعلمه الله أنه من المفترين؟ أليس فيكم شيء من تقوى القلوب يا معشر المنكرين؟ ما كان لعبد أن يفتري على الله ثم ينصره الله كالمقبولين، فإن مِنْ هذا يُرفَع الأمان ويشتبه الأمر ويتزلزل الإيمان، وفيه بلاء للطالبين. أتزعمون أن رجلا يفتري على الله كلّ ليلٍ ونهارٍ، وآصال وأبكارٍ، ويقول يوحى إليّ وما أوحي إليه شيء، ثم ينصره ربّه كما ينصر الصادقين؟ أهذا أمر يقبله العقل السليم؟ ما لكم لا تفكّرون كالمتقين؟ أبقِيتْ لكم دجّالون.. وأين المجدّدون والمصلحون، وقد أكل الدينَ دودُ الكفر.. ألا تنظرون؟

أَلا ترون علماء النصارى كيف يخدعون الجهّال، ويلمّعون الأقوال والأعمال، لعلهم يرجعون؟ وإن الله أنــزل لكم حجّة عليهم، فلم لا تنتفعون بحجّته أيها العاقلون؟ ووالله لو اجتمع أوّلهم وآخرهم، وخواصّهم وعوامّهم، ورجالهم ونساؤهم، ما استطاعوا أن يأتوا بآية كما نُعطَى من ربّنا، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا. ذلك بأنهم على الباطل، ونحن على الحقّ، وإلهنا حيٌّ، وإلههم ميّت،

فلا يسمع شهيقهم ولا زفيرا. وإن لنا نبيّ نرى آيات صدقه في هذا الزمن، وليس في أيديهم إلا خضْراء الدِّمَنِ، فأين تفرّون من حصنِ الأمن أيها الغافلون؟

وإن نبيّنا خاتم الأنبياء، **لا نبيّ بعده**، إلا الذي ينوَّر بنوره، ويكون ظهوره ظِلَّ ظهوره. فالوحي لنا حقٌّ وملْكٌ بعد الاتّباع، وهو ضالّةُ فطرتنا وجدناه من هذا النبيّ المطاع، فأُعطينا مجّانًا من غير الاشتراء. والمؤمن الكامل هو الذي رُزق من هذه النعمة على سبيل الموهبة، والذي لم يُرزَق منه شيئًا يُخاف عليه سوء الخاتمة.

هذه ملّتنا، نرى كلّ آنٍ ثمارها، ونشاهد أنوارها. وأما دين النصارى فليس إلا كدارٍ يخوّف الناسَ دُجاها، ويعمي العيونَ دُخاها، وهل لها آية لنراها؟ ووالله لو لم يكن دين الإسلام لتعسّرتْ معرفة ربّ العالمين، فما ظهرتْ خبيئة المعارف إلا بهذا الدين. وإنه كشجرة تؤتي أُكُلها كلّ حين، ويدعو الآكلين الذين هم من العاقلين. وأمّا دين عيسى فما هو إلا كشجرة اجْتثّتْ من الأرض، وأزالت الصراصر قرارها، ثم اللصوص ما أبقَوا آثارها. وليس في دينهم إلا قصص منقولة، ومن المشاهدات معزولة. ومن المعلوم أن القصص المجرّدة لا تهب اليقين، وليس فيها قوّة تجذب إلى ربّ العالمين. وإنّما الجذب في الآيات المشهودة، والكرامات الموجودة، وبها تتبدّل القلوب، وتزكّى النفوس وتزول العيوب، فهي مختصّ بالإسلام، واتّباع نبيّنا خير الأنام، وإنا على هذا من

الشاهدين، بل من أهلها ومن المجرّبين، ونتمّ بها الحجّة على المنكرين. وأيّ شيءٍ الدينُ الذي كان كدارٍ عفَتْ آثارها، أو كروضة أُجيحت أشجارها؟ ولا يرضى العاقل بدينٍ كان كدارٍ خربتْ، أو كعصا انكسرتْ، أو كامْرأة عقَرتْ، أو كعين عميتْ.

فالحمد لله كلّ الحمد، أن الإسلام دين حيٌّ يُحيي الأموات، ويُخضّر المَوات، ويُنضّر الحياة. وإني أعجب، والله، كلَّ العجب من قومٍ يقولون إنا من فِرق الإسلام، ثم ينكرون فيوض هذا الدين وفيوض نبيّنا خير الأنام، ومكالمة الله العلام. ما لهم لا يهبّون من رقْدتهم، ولا يفتحون عيون فطنتهم؟ فأستعيذ بالله من مثل حالهم وأعجب لهم ولأقوالهم! وقد قُمت فيهم مأمورًا من الله فلا يؤمنون، وأدعو إلى الله فلا يأتون، ويمرّون كأنهم ما سمعوا وهم يسمعون. أما بلغتْهم قصص قوم كانوا يكذّبون رسلهم ولا ينتهون؟ أم لهم براءة في القرآن فهم بها يتمسّكون؟

وإني، والله، من الرحمن، يكلّمني ربّي ويوحي إليّ بالفضل والإحسان. وإني نشدتُه حتى وجدتُه، وطلبتُه حتى أصبتُه. وإني أُعطيتُ حياةً بعد الممات، ووجدت الحقّ بعد ترك الفانيات. وإنّ ربّنا لا يضيع قومًا طالبين، ولا يترك في الشبهات من طلب اليقين. وإنكم مكرتم كلّ المكر، ولو لا فضل الله ورحمته لكنت من الهالكين. وخاطبني ربي وقال: إنك بأعيننا، فأوفى وعده في كل موطنٍ وعند كلّ كيدٍ من الكائدين. ونصرني وآواني إليه، وكرَّ

كلُّ واحدٍ منكم عليّ، فلم يتمكّن بشر مني فرجعوا خائبين.

وقطعتم ما أمر الله به أن يوصل، وأشعتم بين الناس أن هؤلاء ليسوا من المسلمين، وتمنّيتم أن نكون من المخذولين، فقلّب الله عليكم أمانيكم، ونشر ذكْرنا في العالمين. أهذا جزاء المفترين؟

أيها الناس.. لكم لونان: لون في القلب، ولون في اللسان. الإيمان على الألْسُن والكفر في الجنان. جعلتم الأقوال للرحمن، والأعمال للشيطان، فأين أنتم من هداية القرآن؟ أنتم تقرؤون في كتاب الله أن عيسى ذاق كأس الممات، ثم ترفعونه مع جسمه العنصريّ إلى السماوات، فلا أدري حقيقة إيمانكم بالآيات. تتلون في صلواتكم أن عيسى مات، ولا رفْع الجسم ولا حياة[1]، ثم بعد الصلاة تتربّعون في ركن المحراب، وتُقْبِلون بوجوهكم على الأصحاب، فتقولون: من اعتقد بموته فهو كافر وجزاؤه السعير، ووجب له التكفير. تلك صلواتكم، وهذه كلماتكم! تقرؤون في الفرقان: ﴿**فلما توفّيتني**﴾[2] وبه تؤمنون، ثم تتركون معناه وراء

---

[1] وأما ما قال ﷻ: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ورَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ * فليس معناه رفع الجسم مع الروح، والدليل عليه ذكر التّوفّي قبل الرفع، وإنَ هذا الرفع حقّ كلّ مؤمن بعد الممات، وهو ثابت من القرآن والأحاديث والروايات. وإن اليهود كانوا منكرين برفع عيسى، ويقولون إن عيسى لا يُرفَع كمثل المؤمنين ولا يُحيَى، وذلك بأنهم كانوا يُكفِّرونه ولا يحسبونه من المؤمنين. فردّ الله عليهم في هذه الآية، وكذلك في آيات أخرى وقال: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيه﴾ ◊ وإنهم من الكاذبين. منه.

* *سورة آل عمران: ٥٦* ◊ *سورة النساء: ١٥٩*

[2] *سورة المائدة: ١١٨*

ظهوركم وأنتم تعلمون. أتجدون في كتاب الله نـزول عيسى بعد موته؟ فما معنى ﴿فلما توفّيتَني﴾ يا ذوي الحَصاة؟

أتكفرون بكتاب الله بعد إيمانكم، ولا تتّقون الله وتبغون مرضاة إخوانكم؟ أتعادون من أُرسل على رأس المائة، وهو منكم ومن هذه الأُمّة، وجاء في وقت الضرورة، وعند فتن النصرانية، ووافى دروب صحف الله بالحقّ والحكمة، وشهد الله على صدقه بالآيات المنيرة. ما لكم تردّون رحمة الله بعد نزولها، ولا تكونون من الشاكرين؟ غشي الإسلامَ ليلُكم، وانهمر إليه سيلُكم، وتَحْسَبون أنكم تحسنون؟ ما لكم لا تنظرون إلى الزمان وآفاته، وإلى طوفان الكفر وسطواته؟ أليس فيكم رجل من المتفرّسين؟ فعجِبْنا والله، كلّ العجب، وحَيَّرَنا ما تقولون وما تفعلون، وما تصنعون بحذاء الكافرين، وما أعددتم في جواب المتنصّرين؟ إنكم تقطعون أصلكم بأيديكم، وتنصرون بأقوالكم أعداء الدين. إن الله أرسل عبدًا عند هذا الطوفان، وأنتم تُكفّرونه وتخرجونه من دائرة الإيمان، وقد جاء بنورٍ تجلَّى، وبالمعارف تحلَّى، ليكون حجّة الله على صدق الإسلام، ولتخرج شمس الدين من الظلام، وليدافع الله عنه الضرَّ، والزمنَ المُرَّ، وليمدّ ظلّه ويكثر ثماره، ويُري الخَلْقَ أنواره، وليشاهد الناس أنه أزيد من كلّ دينٍ، في كيفٍ وكمٍّ وثَمٍّ ورَمٍّ، ثم أنتم تكفرون به، بل أنتم أوّل المعادين. وظَنَنَّا أنكم صَفْو الزمان، وعينٌ جارية للظمْآن، فظهر أنكم ماء كدر لا يوجد في الكدورة مثلكم في

البلدان. وجادلتم، فأكثرتم جدالكم حتى سبقتم السابقين، وجاوزتم الحدود، ونقضتم العهود، وكفّرتم المسلمين.

ألا ترون أني كنت عبدًا مستورًا في زاوية الخمول، بعيدا من الإعزاز والقبول، لا يُومَى إليّ ولا يشار، ولا يرجى مني النفع ولا الضرار، وما كنت من المعروفين. فأوحى إليّ ربّي وقال: إني اخترتك وآثرتك، فقُلْ إنّي أُمرت وأنا أوّل المؤمنين. وقال: أنت مني بمنـــزلة توحيدي وتفريدي، فحان أن تعان وتُعرَف بين الناس. يأتون من كلّ فجٍّ عميق. ينصرك رجال نوحي إليهم من السماء. يأتيك من كلّ فجٍّ عميق. هذا ما قال ربي، فأنتم ترون كيف أرى العون. إن الناس أتتْني أفواجًا، وانثالتْ عليّ الهدايا كأنّها بحر تَمَيَّجَ في كل آن أمواجًا.

هذه آيات الله لا تنظرون إلى نورها، وتنكرون بعد ظهورها. ألا تفكّرون في أمري؟ أسمعتم اسمي قبل ما أنبأ به ربّي؟ فإنّي كنت مستورًا كأحدٍ من الأنام، غير مذكور في الخواصّ ولا العوامّ. ومضى عليّ دهرٌ ما كنت شيئا مذكورًا، وكنت أعيش كرجل اتّخذه الناس مهجورًا؛ وكانت قريتي أبْعَدَ من قصدِ السيّارة، وأحقَرَ في عيون النظّارة، درستْ طلولها وكُرِهَ حلولَها، وقلّت بركاتها وكثرت مضرّاتها ومعرّاتها؛ والذين يسكنون فيها كانوا كبهائم، وبذِلَّتِهم الظاهرة يدعون اللائم؛ لا يعلمون ما الإسلام، وما القرآن وما الأحكام. فهذا من عجائب قضاء الله وغرائب

القدرة، أنه بعثني من مثل هذه الخربة، لأكون على أعداء الدين كالحَرْبة. وبشّرني في زمن خمولي وأيّام قبولي بأني سَأكُون مرجع الخلائق، ولِصَولِ الكفرة كالسدّ العائق، وأُجلَسُ على الصدر، وأُجعل للقلوب كالصدر. يأتونني من كلّ فجّ عميق، بالهدايا وبكلّ ما يليق. هذا وحي من السماء، من حضرة الكبرياء، ما كان حديثًا يُفترى، ولا كلامًا ينسج من الهوى، بل وعد من ربّي الأعلى. وكُتب وطُبع وأُشيع قبل ظهوره في الورى، وأُرسل في المدائن والقُرى، ثم ظهر كشمس الضحى. وترون الناس يجيئونني فوجًا بعد فوج مع الهدايا التي لا تعدّ ولا تحصى. أليس في ذلك آيةٌ لأولي النهى؟ وإن كنتَ تحسبني كاذبا فأَرِ الخلْق سرّي، واكشِفْ ستري، واسئلْ من أهل هذه القرية، لعلك تُنصَر من العدا.

وإنما حدّثتك بهذا الحديث لعلك تفتّش وتهدى. فإن كنت لا تخاف الله فامْضِ على وجهك، يأتي الله بعوضك. وإن كنت تتّقيه، فالبرهان بيّنٌ والأمر هيّنٌ. قد رأى الإسلام صدمات الخريف، فانظُرْ.. ألم يأن وقت الربيع والنسيم اللطيف؟ وترى أن القلوب في زمننا هذا أجدبتْ، وطلّقها المُبْسرات وتركتْ، فجاءت رحمة الله بجودها، وتداركت وأجادت. وأراد الله في هذه الأيام أن يميط شوكًا تجرّح أقدام الإسلام، ويقطع كلّ قتاد وقع في سبيله، ويُطهّر الأرض من اللئام. فتقبّلْ أو لا تقبّلْ.. إني أنا مطر الربيع، وما ادعيتُ بهوى النفس بل أُرسلت من الله البديع، لأطهّر الدنيا من

أوثانها، وأزكّي النفوس من الشهوات وشيطانها. ألا ترى ما نزل على هذه الملّة؟ وكيف زادتْ علل على العلّة؟ وتجاوز الوباء مِن أهل دار، إلى مَن كان في جوار، ودعا الحَينُ أخاه، بمثل ما دعاه. ووُطئ الدين تحت أقدام عَبَدَة إنسان، وصال الأعداء عليه كثعْبان، حتى صار كقرية يُطرِّقها السَّيل، أو كأرض تعدو عليها الخيل. هناك رأى الله أن الأرض خربت، وخيالات الناس فسدت، وما بقي فيهم إلا أماني الدنيا وأهواؤها، وتمايَلَ عليها أبناؤها. فعند ذلك أقامني فيكم لتجديد الدين، وإصلاح الملّة والتزيين. فانظروا، رحمكم الله، أجئتكم في غير المحلّ كالمفترين، أو أدركتُكم عند نهب الشياطين؟

واعلموا، هداكم الله، أن هذا الأمر بقضاء من الله وقدْره، وهذا النور ليس من ظلمةٍ بل من بدْره. وكم من ذئبٍ افترس عباد الله، أفلا تنظرون؟ وكمٍ من لصٍّ نهب أموال الدِّينٍ، أفلا تشاهدون؟ فما زعمكم.. ألم يأْنِ وقت نصرة الرحمن؟ كلا.. بل جاءت أيّام فضل الله والإحسان. وما جئتكم من غير سلطان مبين، وعندي شهادات من الله تزيد يقينًا على يقين. وكنتُ في حَيّةِ قومي كمَيْت، وبيت كلا بيت. وكنتُ مستورًا غير معروف، لا يعرفني أحدٌ في القرية، إلا قليل من الطائفة. وكنت أعيشُ في زاوية الكتمان، لا يجيئني أحد من الرجال والنسوان. وكنت مخفيًّا من أهل الزمان، ما قصدت بلدةً من البلدان، وما جُبْتُ الآفاق، وما

رأيت العرب وما تقصّيتُ العراق. وما كان لي، والله، سعة المال، وما ارتضعت من الدهر إلا ثدْيَ عقيمٍ لا يُرجَى منه لبن الكمال، وما ركبتُ إلا ظهر بهيمٍ ليس فيه شِيَةُ يُسْرِ الحال. فبشّرني ربّي في تلك الزمن بأنه سيكفيني في جميع المهمّات، ويفتح عليّ باب كلّ نعمة من التفضلات. وكما ذكرت، كان ذلك الوقت وقتَ العسرِ وأنواعِ الحاجات، وبشّرني ربّي بتسهيل أموري وتيسير مناهجي، وتكفُّله بكلّ حوائجي. فعند ذلك وفي زمنٍ أبعد مِن أمنٍ أمرت أن يُصنَع خاتم فيه نقوش هذه الأنباء، ليكون عند ظهورها آية للطُّلباء، وحُجّة على الأعداء. والخاتم موجود وهذا نقشه:

يا أهل الآراء*.

ثم فعَل الله كما وعد، ومطَر سحاب فضله كما رعد، وجعل الله حبّة صغيرة أشجارا باسقةً، وأثمارًا يانعةً. ولا سبيل إلى الإنكار، ولو اتّفق فِرق الكفّار، فإن شهادة الشهداء تسوّد وجه من أبى، وكيف الإنكار من شمس الضُّحى؟ ثم إذا تمّتْ كلمة ربّي، وملأ الله جِرابي، تبادرَ القوم بابي، وصرت من القطرة كالبحار، ومن الذرّة كالجبال الكبار، ومن زرع صغير كالأشجار المملوّة

* قد مضى على صنْع هذا الخاتم أزيد من ثلاثين سنة، وما ضاع إلى هذا الوقت فضلا من الله ورحمة. وما كان في ذلك الزمن أثر من عزّتي، ولا ذكر من شهرتي، وكنت في زاوية الخمول، محروما من الإعزاز والقبول. منه.

من الثمار، ومِن دودةٍ كَكُماةِ المضمار، إن في ذلك لآية لأولي الأبصار.

وكذلك بشّرني ربي بطول عمري في بدْء أمري وقال: (ترى نسْلاً بعيدًا). فعمّرني ربي حتى رأيت نسلي ونسل نسلي، ولم يتركني كالأبتر الذي لم يُرزق وليدًا، وتكفي هذه الآية سعيدا.

فأفتوني أيها العلماء والمحدّثون والفقهاء.. أتجوّز عقولكم أن تلك المعاملات كلّها يعامل الله برجل يعلم أنه يفتري عليه، ويكذب أمام عينيه؟ وهل تجدون في سنّة الله أنه يُظهر على غيبه إلى عمر طويل أحدا من المفترين؟ ويتمّ عليه كلّ نعمته كالنبيّين الصادقين؟ وينصره في كلّ موطن بإكرامٍ مبين؟ ويمهّله مع هذا الافتراء حتى يبلغ الشيبَ من الشباب، ويُلحق به ألوفا من الأصحاب، ويعينه ويطرد أعداءه المؤذين كالكلاب؟ ويؤتيه ما لم يؤتَ أحد من المعاصرين، ويُهلك من باهله أمام عينيه أو يخزي ويهين؟ ومن كان على الدنيا مُكِبًّا ولزينتها محبًّا، ومن أهل الافتراء والفرية.. أرأيتم نصرته كهذه النصرة؟ أو أحسستم له عونةَ الله كهذه العونة؟

ما لكم لا تفكّرون كالمتّقين؟ هداكم الله! إلامَ تكفّرون عباد الله المؤيّدين؟ وإنكم تكذّبونني، ولا أعلم بم تكذّبون! أكَفرتُ بكتاب الله، أو أنكرتُ ما جاء به المرسلون؟ أو ما رأيتم آيات الله فلذلك ترتابون؟ أو جئتكم في غير الوقت فقلتم جاء كما يجيء

المزوّرون؟ ما لكم لا تعرفون الحقّ ولا تبصرون؟ انظروا إلى الأمم الخالية من المفترين، والخليقة الفانية من المتقوّلين.. كيف انتسفهم الله لافترائهم، وأهلكهم وما أبقى شيئًا من نبئهم، ومحا آثارهم، وأفنى أنصارهم، لما كانوا كاذبين، وللصادقين منافسين. ولو لا تفريق الله بين الحق والباطل لارتفع الأمان، وتشابهَ الخبيث والطيب والخرب والعمران، ولم يبْق فرقٌ بين المقبولين والمردودين.

اعلموا، رحمكم الله، أن عمر الافتراء قليل، والمفتري في آخر عمره ذليل. ثم المفترون قوم مخذولون لا ينصرهم ربٌّ علّام، ولا يشهد الله لهم وليست في كنانتهم سهامٌ، وليس متاعهم إلا كلام، ولا يؤيَّدون ولا يباركون كالمقبولين. ومن سنن الله أنه إذا بارز أحد من المكذّبين صادقا وقام للمنازعة، أو اشتبك معه بنيّةِ المباهلة، صرعه الله بالخزي والذلّة، وكذلك جرتْ عادة حضرة الأحديّة، ليفرّق بين الصديقين والمزوّرين. إن المزوّرين لا يُنصرون من الله، ولا يؤيَّدون بروح منه، ولا توافيهم نور من السماء، ولا تُقدَّم إليهم مائدة الصلحاء، وما هم إلا كلاب الدنيا، تجدهم عليها متمايلين، وتجد صدورهم مملوّة من شحّها وهم على أنفسهم من الشاهدين. ويُخزَون في مآل أمرهم، وهناك يُعرَف وجود مميّز يميّز الخبيث من الطيّبين. والذين صدقوا عند ربّهم قد ثنى الله تعالى عن الدنيا عنانَهم، وعطف إليه جنانهم، فاختاروا له اليوم الأسود والموتَ الأحمر، وأعطَوه الظاهر والمضمَر، وسعوا إليه بوجدهم،

وقضوا مناسك عشقهم، وأتـــمّوا طواف محبّتهم، أولئك لا يخزون في هذه وفي يوم الدين، وسيسكنون في مقاصر عزّ ورفعة. لا يرون تجاهَ العدا مِن عثرةٍ، ويحفظهم الله من كلّ صرعةٍ، ويقيلهم وينعشهم عند كلّ سقطة، فيعيشون محفوظين.

والفرق بينهم وبين المفترين كشمس الضحى والليلِ إذا سجى، أو كحليبٍ لطيفٍ وخلّ ثقيف. يتراءى نور جبْهتهم للناظرين. إنهم سرّحوا امرأة الدنيا وزينتها، واختاروا الآخرة وذاقوا سكينتها، واستراحوا مع الله بعد ترك أهوائهم، وخرّوا على حضرة الله وفرّوا إليه منقطعين، وقنعوا من الدنيا بثوب كثيف، وبقلٍ قطيف، فأعطى أرواحهم حَللاً كبرقٍ مع غذاء لطيف، وردّ إليهم ما تركوا وكذلك يفعل الله بالمخلصين. ونظر الله إليهم فوجدهم الطيّبين الطاهرين، ورأى أنهم يؤثرونه على غيرهم*، فآثرهم على الأغيار، ورأى أنهم كانوا له فكان لهم، وجعلهم مهبط الأنوار، وكذلك جرتْ سنّته من الأوّلين إلى الآخرين. وكم بئْر تُحفَر لهم، فيخرجهم الله بأيديه، ولا تصيبهم مصيبة ليهلكوا، بل ليري الله بها كرامتهم، ولا تنـــزل عليهم آفة ليدمَّروا بل ليثبت الله بها أنهم من المؤيَّدين. أولئك رجال صافاهم حِبُّهم. ولا يخزي الله قوما إلا بعد أن يتألّم قلوبهم بإيذاء تلك الخبيثين، كذلك جرتْ سنّة الله في المخلوقين. وإذا أقبلوا على الله سمع لهم، وإذا استفتحوا فخاب كلّ

* *هكذا ورد في الأصل سهوًا، والصحيح "غيره". (الناشر)*

ظلّام ضنين. يعيشون تحت رداء الله.. تراهم أحياءً وهم من الفانين.

أتظُنّ أن هذا القوم قد خلوا من قبل ولا يريد الله أن يخلق مثلهم في الآخرين؟ ثقلتْك* أُمّك! إنْ هذا إلا خطأ مبين. يا عافاك الله.. بعدتَ بُعدًا عظيمًا من سنن الله ربّ العالمين. لو لا وجودهم لفسدت الأرض ومن فيها، فلذلك وجب وجودهم إلى يوم الدين.

وما أرسلني ربي إلا ليكفّ عنكم أيدي الكفّار، ويهيّئكم لنـــزول الأنوار، فما لكم لا تشكرون بل تعرضون عن الهُدى؟ أتعلمون أنكم تُترَكون سُدى؟ وإن مع اليوم غدا. وما جئتكم من هوى النفس، وما كنت مشتاق الظهور، بل كنت أحبّ أن أعيش مكتومًا كأهل القبور، فأخرجني ربي على كراهتي من الخروج، وأضاء اسمي في العالم مع هربي من الشهرة والعروج، ولبثتُ عمرًا كالسرّ المستور، أو القُنْفُذ المذعور، أو كرميم في التراب، أو كفتيل خارج من الحساب. ثم أعطاني ربي ما يُحفِظ العدا، ومنَّ عليّ بوحي أجلى. فاشتعل السُّفهاء وظلموا، وكان بعضهم من البعض أطْغى، وسفَتْ منهم عليّ الأعاصرُ والصراصر العظمى، فرأيتم مآلهم يا أولي النهى. ثم بعدهم أدعوكم إلى الله، فإن تقبلوا فالله حسبكم، وإن تكفروا فالله حسيبكم، والسلام على من اتّبع الهُدى.

* *هكذا ورد في الأصل سهوًا، وصُحّح في طبعة "الخزائن": "ثكلتك". (الناشر)*

يا فتيان رحمكم الله.. ترون انقلابًا عظيمًا في العالم، وتشاهدون من أنواع المعالم. وأشقى الناسِ في هذا الزمن المسلمون. نُهب دُنياهم، وكثير منهم من الدين يرتدّون. لا ينـــزل بلاءٌ إلا عليهم، ولا تُهلِك داهية إلا قومهم. ما حدثتْ بدعة إلا ولَجتْ بينهم، وما عرَضتْ عليهم الدنيا عينَها إلا فقأتْ بها عينهم. نرى شبّانهم تركوا شعار الملّة الإسلامية، ومحوا آثار سنن* النبويّة. يحلّقون اللُّحى، ويعظّمون السبال، ويطوّلون الشوارب، مع تلبُّس الحلل النصرانية. فهم في هذا الزمن أشقى مَن أظلّتْه السماء، وآوتْه الغبراء. يعرضون عن فضل الله إذا أتى، ويفرّون من رحم الله إذا وافى. تَنحَّوا عن خِوان الله إذا دنا، واتّبعوا طرقًا أُخرى. لا يخافون حرّ النار واللّظى، ويخافون مرارة هذه الدنيا، والطريق الذي ما نصّفه الشيطان وطئوا كلّه، فسبقوا الخنّاس الأطغى.

ومنهم قوم يقولون إنا نحن العلماء، ويتكلّمون كما يتكلّم السفهاء، يضلّون الناس بغير علم وهُدى، ويعرضون عن الحقّ الذي حصْحص وتجلّى. ويدفنون خيرَ الرسل في التراب، ويُصعِدون عيسى إلى السماوات العلى. فتلك إذًا قسمةٌ ضيزى! يبصرون ثم لا يبصرون، يرون الحقّ ثم يتعامون وهم يعلمون، ويكتمون الحقّ الذي ظهر كشمس الضحى. ألا يرون نصر الله

* *هكذا ورد في الأصل سهوًا، وصُحّح في طبعة "الخزائن": "السننَ". (الناشر)*

كيف أتى؟ ويُريهم الله كلّ سنةٍ ما يكرهونها من آيات عظمى✪، ثم يمرّون كأنّهم ما رأوا، ويتحامون عن طرق التقوى، كأنّ أسدًا يفترس فيها أو تأخذهم آفاتٌ أخرى. أيظُنّون أنهم لا يُسألون ويُتركون كشيء يُنسى؟ ألا يرون الآيات من ربي، أو رأوا كمثله معاملة الله برجل افترى؟ ما لهم لا يتركون عادة الإيذاء، والسبّ والازدراء؟ أأقْسموا وآلوا وعاهدوا عليه؟ والله يسمع ويرى. يا حسرات عليهم! إنهم جاوزوا حدّ التُّقَى، وطُبع على القلوب فآثروا العَشا والعمى. يخافون الخَلْق ولا يخافون الله، ولا يتّقون حرّ النّار واللَّظى. وقد أوتوا مفاتيح دار الدين فما دخلوها، وما رضوا بأن يدخلها زمرٌ أخرى. أيُرْجَى منهم أن يؤمنوا بإمام وقتهم، بل

✪ إني كتبت غير مرّة أن من أعظم آي الله ما أنبأني بكثرة الجماعة، ورجوع الناس إليّ فوجا بعد فوج، ودخولهم في هذه السلسلة. وكان هذا الوحي في زمن كنت فيه رجلا خاملا لا يعرفني أحد، لا من الخواصّ ولا من العامّة. ثم بعد ذلك زادت جماعتي إلى حدّ لا يعرف عددهم على الوجه الكامل إلا عالم الغيب والشهادة، وانتشروا في هذه البلاد وبلاد أخرى كصيّب يعمّ كلّ أقطار البلدة. ففكّروا.. أليس ذلك من الآيات العظيمة؟ وقد أيّد كلامي هذا المكتوب الذي بلغني اليوم في آخر جنوري سنة ١٩٠٧م من أرض مصر، فأكتب منه السطرين لملاحظة أهل النّصفة، وهو هذا: إلى ذي الجلال والاحترام المسيح الموعود ميرزا غلام أحمد القادياني الهندي الفنجابي، بعد التحية، لقد كثرتْ أتباعكم في هذه البلاد وصارت عدد الرمل والحصا، ولم يبق أحد إلا وعمل برأيكم واتّبع أنصاركم❖. الراقم: أحمد زهري بدر الدين، من إسكندرية، ١٩ دسمبر سنة ١٩٠٦م. منه.

❖ *يبدو أن خطأ ما حصل هنا، فربما كان هذا الأخ المصري يتحدث عن رؤيا رآها، أو عما توقّعه في مستقبل الأيام، أو أنه ربما يشير خطأ إلى الفرقة الصوفية الشاذلية الأحمدية المتواجدة في مصر. (الناشر)*

يقولون كذّابٌ يُضلّ الورى، أرى نفسَه في زيّ المسلمين ولا يؤمن بالله ورسوله المصطفى. وما شَقّوا صدري، فما أعثرهم على كفر يُخفَى؟ وقد رأوا آياتٍ إن رآها قوم أُهلكوا في قرونٍ أولى ما عُذّبوا في الدنيا ولا في العُقبى. فهذه شقْوهم.. طلعتْ الشمس عليهم وأضحى، وهم يختفون في الغار ويؤثرون الدُّجَى. لا يفرّقون بين خائنٍ وأمينٍ، وبين نهارٍ وليلٍ سجى. يريدون أن يطفئوا نورًا نـــزل من الله ذي الجلال، والله غالب على أمره وإن كان مكرهم تزول به الجبال. أيحسبون أنهم قومٌ ليس لهم زوال؟ وسيبطل الله كيدهم، وإن كان كيدهم كحليبٍ أَجرَى في الحلوق، وأمضى في العروق، أو كغذاء أخرى هي ألطفُ وأَحلَى. أيستطيعون أن يردّوا قضاءه؟ سبحان ربّنا الأعلى! إنه يغلِب ولا يُغلَب، وينفّذ أمره من السماء إلى تحت الثرى. فهل من فتى يخافه ولا يطغى؟ وهل من حُرّ يطيعه ولا يأبى؟ أيتّكئون على آراء آبائهم الأوّلين؟ وليس لآرائهم ثبات، وتجدهم فيها مختلفين، وما زالت النوى تطرح برأيهم كلَّ مطرح، فلا يثبت وليس له قرار ويتبدّل كلّ حين. ووالله، إني صادق، وجحدوا بما جئت به بغير علم ولا بُرهان مبين. وإني أعرض نفسي للذبح فما دونه إن كانوا من الصادقين. إن يقولون إلا رجمًا بالغيب، وليسوا على الحق مُعْثرين.

ويقولون إن الزلازل والطاعون ما جاءت إلا بنحوسة هؤلاء، وإنهم قوم منحوسون. انظرْ إلى أقوالهم كيف يهذَرون! يا أعداء

الكتاب والرسول، بماذا تَطيَّرون؟ أجاء العذاب بما أرسل الله عبده ليتمّ به حجّته ولينذر قومًا غافلين؟ ويلٌ لكم ولما تزعمون! وقد أنبأ الله بها قبل ظهورها ثم أنتم بالله ورسله تستهزئون. وإن الله يرى كلّ ما تصنعون. ترون ليالي الكفر وظُلماتها، وتُحسّون حاجةَ مرسل وأماراتها، ثم أنتم تعرضون كأنكم قوم عمون. وإذا ابتسم ثغرُ صبح الإسلام، وأراد الله أن يجيح الشرك بآياته العظام، فلكم مكرٌ في آياته، لعل الناس إلى الحق لا يرجعون. وتقرؤون في سورة النور من غير الشكّ والغُمّة، أن الخلفاء كلّهم يأتون من هذه الأُمّة، ثم تلتمسون عيسى الذي هو من بني إسرائيل، وتنسون ما فيهم قيل. وتقرؤون في حديث نبيّ الله: **إمامُكم مِنكم**، ثم أنتم تتجاهلون.

أتكفرون بمن جاء من الرحمن بالآيات البيّنات والبرهان، وترون الكفّار كيف جرّحوا دينكم الذي هو خير الأديان؟ وهمّوا بأن ترتدّوا وتكونوا كمثلهم حزب الشيطان. فاعلموا -رحمكم الله- أن غيرة الله قد اقتضتْ في هذا الزمان، أن يرسل عبده وينجز وعده، وينجي حزبه من أهل العُدوان. فأنا هو العبد المأمور، والوقت هو الوقت المسطور، فهل أنتم تؤمنون؟ والحقّ قد تبيّن، والوقت قد تعيّن، فما لكم لا تفهمون؟ يا حسراتٍ عليكم، إنكم صرتم أوّل كافرٍ بي، وكنتم من قبل تنتظرون. ألا ترون كيف شاع الشرك في أعطاف الأرض وأطرافها، وأقطار البلدة وأكنافها؟

أتكفرون بما أنـــزل الله وأنتم تعلمون؟

يا عُلماء القوم، لا تَعمّدوا لقداح النوم، والله يوقظكم بحوادث كُبرى، وينبّئكم بدواهٍ عُظمى. فأين الخوف كالأبرار، وأين ماء الدموع بذكر الله القهّار؟ كنتم إناء الدين، فترشّح الكفر منه وفاضَ، فأعجبني أن طير نفسكم ما فرّخ وما باض. أخُلقتم لأكل رغيف، مع شواء صفيف، على خوان نظيف، أيها المُسرِفون؟ وقد قال الله تعالى: ﴿ما خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُون﴾* وما قال "إلا ليأكلون". يا سبحان الله! أيّ طريق اخترتم، وأيّ نهج آثرتم؟ أتعيشون إلى آخر الدُّنيا ولا تموتون؟ وتقطفون ثمارها خالدين فيها أبدا، ولا تهلكون؟ إن الدنيا قد انتهتْ إلى آخرها فلم لا تستيقظون؟ وقد حلّ أرضَكم هذه وباءُ الطاعون، وآفات أُخرى ألا تنظرون؟ وإن أشْتيتم أو أصَفْتم، فهي معكم ولا تفارقكم، ألا تبصرون؟ أأخذكم العَشا أم أنتم قومٌ عمون؟ وعنّتْ أمامكم مصائب شتّى، حتى صُبّتْ على أنفسكم وأولادكم ونسائكم وذوي القُرْبى، وتفارقكم كلَّ سنة أَعزّتُكم بموتهم، فلا تستطيعون غير أن يفزع ويبكى. وما كان الله معذِّب قوم حتى يبعث رسولاً، ليتمّ الحجّة، والأمر يُقْضى. هكذا قال الله في كتابه وهكذا خلتْ سُنّته في أمم أولى. فما لكم لا تعرفون إمامًا أُرسل إليكم، ولا تتّبعون داعيًا أقيم فيكم؟ ألا تعلمون مآل من كذّب وأبى؟ أرضِيتم

* سورة الذاريات: ٥٧

أن تموتوا ميتة الجاهلية ثم تُسألوا في العُقْبى؟ وأنتم تُهدَون إلى الطيّب من القول، فما لكم تؤثرون الكدر وتتركون الأصفى؟ تَدَعون من جاءكم، وتَدْعون الميت من السماوات العلى. وتسبّون وتشتمون، وتقولون ما تقولون، ولا تخافون يومًا تحضر فيه كلّ نفسٍ لتجزى. وليس نبيّ ذليلاً إلا في وطنه، فسُبّوا واشْتموا والله يسمع ويرى.

يا قوم، لم تتعامون وأنتم تبصرون؟ ولم تتجاهلون وأنتم تعلمون؟ أما علمتم عاقبة الذين كانوا يستهزئون؟ تلدغون كالزّنْبور، وتؤذون رجلا اعْتمّ كالسراج بالنور، وتَهرّون برؤية البدور. وأبدرَ الصلحاءُ وأنتم تُظلمون، وجاء الناس وأنتم تهربون.

وكَمْ من مُستهزئٍ أخبروا بموتي كأنهم أُلهموا من الله العلام، وأصرّوا عليه وأشاعوه في الأقوام، فإذا الأمر بالضدّ، وردّ الله مزاحهم عليهم كالجِدّ، وماتوا في أَسْرع وقت بعد إلهامهم، وتركوا حشيش ندامة وذلّة لأَنعامهم.

ورُبَّ مؤذٍ ما آذَوني إلا ليظهر الله بهم بعض الآيات، وقد قصصْنا قصصهم في "حقيقة الوحي"، لتكون تبصرةً للطالبين والطالبات. وأقرب القصص من هذا الوقت قصّة رجلٍ مات في ذي القعدة، وكان يلعنني ويسبّني، وكان اسمه **سعد الله**، وكان سبُّه كالصَّعْدة. وإذا بلغ شتمه إلى منتهاه، وسبق في الإيذاء كلّ من سواه، أوحى إليّ ربي في أمر موته وخِزْيه وقطع نسله بما قضاه،

وقال: إن شانئك هو الأبتر، فأشعتُ بين الناس ما أوحى ربي الأكبر. ثم بعد ذلك صدّق الله إلهامي، فأردتُ أن أفصّله في كلامي، وأشيع ما صنع الله بذلك الفتّان، وعدوّ عباد الله الرحمن. فمنعني من ذلك وكيلٌ كان من جماعتي، وخوّفني من إرادة إشاعتي، وقال: لو أشعتها لا تأمَن مَقْتَ الحكّام، ويجُرّك القانون إلى الأَثام، ولا سبيل إلى الخلاص، ولات حين مناص، وتلزمك المصائب ملازمة الغريم، والمآل معلوم بعد التعب العظيم، وليست الحكومة تاركَ المجرمين، فالخير في إخفاء هذا الوحي كالمحتاطين. فقلت إني أرى الصواب في تعظيم الإلهام، وإن الإخفاء معصية عندي ومن سير اللئام، وما كان لأحد أن يضرّ من دون بارئ الأنام، ولا أبالي بعده تهديد الحُكّام، وندعو ربّنا الذي هو منبت الفضل، وإن لم يستجبْ فنرضى بالعيش الرذل. ووالله، إنه لا يسلّط عليّ هذا الشرير، وينـــزل عليه آفة وينجي عبده المستجير. فسمع كلامي بعض زبدة المخلصين.. الفاضل الجليل في علم الدين.. أعني محبّنا المولوي الحكيم **نورُ الدِّين**، فجرى على لسانه حديث: "رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ"، واطمأنّ القلوب بقولي وقوله، وخطّأوا المحذِّر، واستضعفوا بناء هوله. ثم دعوت على "سعد الله" إلى ثلاثة أيام، وتمنّيت موته من ربّ علام. فأوحي إليّ: رُبَّ أشعثَ أغبرَ لو أقسم على الله لأبرَّه، يعني إنه تعالى يدافع عنك شرّه. فوالله، ما مضى عليّ إلا ليال حتى جاءني نعي موته، فالحمد

لله على ما ضرب العدوّ بسوطه.

أيها الناس.. إني جئتُ من ربي بمائدةٍ لأطعم البائس الفقير، فهل فيكم من يأخذ هذا الخوان ويأمن الجوعِ المبير؟ ومن لم يوافقه هذا الغذاءُ فهو من قوم يقال لهم أشقياء، ومن أكله فله في هذه أجر كبير، ثم وراءها فضل كثير. يريد الله ليحطّ عنكم الأثقال، ويضع السلاسل والأغلال، وينقلكم من الأرض المُجْدبة، إلى بلدة النعمة والرفاهة، وينجيكم من ظلمات اشتدّتْ فيها الريح، ويبلّغكم إلى مقاصر أُشعلتْ فيها المصابيح، ويطهّركم من الذنب والزور، لتكونوا كالذي قفل من الحجّ المبرور. ولكنّكم رضيتم بأن تتّسخ أبدانكم بوسخ الذنوب، وأن تبعدوا أبدًا من ديار المحبوب. وإني عرضت عليكم ماء الحياة، فآثرتم كأس الممات، ودعوتكم إلى البيت العتيق، ففررتم إلى الغرانيق. وإنكم تسبّون وإنا نقاسي لكم الضجر والكرْبة، وندعو لكم في ظلمات الغمّ كأنّا نصلّي العتمةَ. وإنّ الأمر في يد الله يفعل ما يشاء، وفي يده القضاء، ويأتي يوم يلين ذلك الحجر، وإلى متى هذا الضَّجَر؟

أيها الناس.. لا تَمايلوا على قول العامّة، وإنهم قد أعرضوا عن طرق السلامة. وإن عجبتم فما أعجب من قولهم إنّ عيسى حيٌّ مع الجسم في السماوات، ثم مع ذلك لحِق بالأموات، ودخل معهم في الجنّات! ويقولون إنه يترك صحبة الموتى في آخر الأيام، وينـــزل إلى بعض أرضين، ويمكث إلى أربعين، ثم يرحل من هذا

المقام، ويلحق بالأموات إلى الدوام. هذه خلاصة اعتقاداتهم، وملخّص خرافاتهم. فبقينا متحيّرين من هذا البيان، مع هذا الهذيان. لا أعلم أجَرَّتْهم إليه الأهواء، أو غلبت عليهم السوداء؟ ما لهم إنهم مع طول الزمان، وتلاوة القرآن، ما اهتدوا إلى الحق إلى هذا الأوان؟ فما أفهم مِن أيّ قسمٍ هذا الجنون، وقد مضتْ عليه القرون؟ فوالله، قد حيّرني إصرارهم على أمرٍ يخالف القرآن، ويجيح الإيمان. وقد جاءهم حَكَمٌ من الله بالحق والحكمة على رأس المائة، وعند غلبة كلِّ نوع البدعة وغلبة الكَفَرة، فأعجبني أنهم لأيّ سبب أنكروه، وهو يدعو الزمان والزمان يدعوه. ووالله، إنّي أنا المسيح الموعودُ، وأعطاني ربي سلطانًا مبينًا، وإني على بصيرة من ربي، ولو رُفع الحجاب لما ازددتُ يقينًا. إن الله رأى نفوسًا عاصية، وزمنًا كليلةٍ قاسية، فأرسلني لعلهم يتوبون. وكيف ننصح لهم وإنهم قوم لا يسمعون، وإنهم عن صراط الحقّ لناكبون؟ فرّوا من مائدة الله ورُغفانها، وانتشروا وبقيت الخوانُ على مكانها، وآثروا عصيدة الدنيا وتحلّبتْ لها أفواههم، وتلمّظتْ لها شفاههم، فأقلّ ما يكون في صدقي أن يصيبهم بعض الذي أَعِدُهم، فما لهم لا ينتظرون؟

وقالوا إن عيسى حيٌّ، وذلك لقلّة عِلْمهم بالقرآن والآثار، فينكرون موت عيسى أشدّ الإنكار، وعلى حياته يصرّون. وتلك كلمة بها يموتون. فاجتنبْ ذلك إن كنت من الذين يؤمنون بالفرقان ولا يكفرون. ولا تكنْ كمثل الذين تركوا كلام الله وراء

ظهورهم فلا يبالون.

ويقولون إن المسلمين أجمعوا على حياته.. كلا، بل هم يكذبون. وأين الإجماع وفيهم المعتزلُون؟ وإذا قيل لهم ألا تفكّرون في قول ربّكم: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ أو به لا تؤمنون؟ فليس جوابهم إلا أن يحرّفوا آيات الله ويقولوا إنّ معنى التوفّي رفْع الروح مع الجسم العنصريّ.. انظرْ كيف عن الحقّ يعدلون! ويعلمون أن هذا القول قول يجيب به عيسى بحضرة العزّة يوم القيامة إذ يسأله الله عن ضلالة الأمّة، وكذلك في الفرقان تقرؤون. فعجبت، والله، كلّ العجب من شأنهم، ومن عقلهم وعرفانهم! ألا يعلمون أنه ما كان لبشر أن يحضر يوم النشور، من قبل أن يُقبَض روحه ويكون من أصحاب القبور؟ ما لهم لا يتدبّرون؟ وقد حثا الصحابة التراب فوق خير البريّة، ومزاره موجود إلى هذا الوقت في المدينة المنوّرة. فمِن سوء الأدب أن يقال إن عيسى ما مات، وإنْ هو إلا شرك عظيم.. يأكل الحسنات ويخالف الحصاة. بل هو تُوفّي كمثل إخوانه، ومات كمثل أهل زمانه. وإنّ عقيدة حياته قد جاءتْ في المسلمين من الملّة النصرانية، وما اتّخذوه إلهًا إلا بهذه الخصوصية، ثم أشاعها النصارى ببذل الأموال في جميع أهل البدْو والحضر، بما لم يكن أحد فيهم من أهل الفكر والنظر. وأما المتقدّمون من المسلمين فلم يصدر منهم هذا القول إلا على طريق العثار والعثرة، فهم قوم معذورون عند الحضرة، بما كانوا خاطئين غير متعمّدين.

وما أخطأوا إلا من وجه الطبايع الساذجة، والله يعفو عن كلّ مجتهد يجتهد بصحّة النيّة، ويؤدّي حقّ التحقيق من غير خيانة على قدر الاستطاعة. إلا الذين جاءهم الإمام الحَكَم مع البيّنات من الهُدى، وفرّق الرُّشد من الغيّ وأظهر ما اختفى، ثم أعرضوا عن قوله وما وافَوا دروب الحقّ بل منعوا من وافى. وخالفوه وماتوا على عناد وفساد كالعدا، وفرحوا بهذه ونسوا غدا. أينكرون ما أنذر الله به، ولا يجاوزون حَدَّ مصرعهم إذا القدر أتى، وترى كلُّ نفس ما عمل من الهوى؟ ومن أتى الله بقلب سليم فنُجّي من اللّظى، وأمّا المعرض الأثيم فله الجحيم، لا يموت فيه ولا يحيا. وإنّا نُصبح ونمسي في هذا الانتظار، ونُجيل طَرْفَنا في كلّ طرفة إلى الأقدار. وإن عذاب الله قد قرع بابكم، وكسّر أنيابكم، أفلا تنظرون؟ وإن نفوسكم قد قربتْ أسدَ الممات في الفلوات، فأَعِدّوا لها حصنَ النجاة، ولا تهلكوا أنفسكم بأيديكم أيها الغافلون. إن حياتكم بالإيمان والدين، لا بالرُّغفان والماءِ المعين. وإذا ذهب الدين فلا حياة، والذي ضاع دينه يشابه الأموات. وترون أنّ الكُفر كسّر ضلوع الإسلام، وما بقي منه إلا اسم على أَلْسُنِ العوامّ. ووالله، إنّ هذا الأسد قد جُرّح من الكلاب، ورضي من الافتراس بالإياب، وقعد من الفُلْك بمثابة الهُلْك، ولذلك مسّكم من كلّ طرفٍ ضرّ، وعيش مرّ، والآفات اختارتْكم صَحْبًا، كأنها وجدتْ فناءَكم رَحْبًا، وإنكم تحتها كلّ يومٍ تكسَّرون. وترون أنّ

الآفات تنـــزل عليكم تَتْرًا، وتبتُر بَتْرًا، ولا تسقط عليكم آفة إلا وهي أكبر من أُختها، ثم لا تخافون. وقد رأيتم ما نـــزل من الآفات، وبعضها نازل بعدها في أسرع الأوقاتِ، فتوبوا إلى بارئكم لعلكم تُفلحون. وكيف ترجى منكم التوبة وما تأتيكم آيةٌ إلا عنها تُعرِضُون؟ فسوف تأتيكم أنباءُ ما كنتم به تستهزئون.

ومن الآفات أن قومًا يدعونكم إلى الكفر، إطماعًا في نجار الصُّفْر، ويعرِضون ذهبًا على كلّ ذاهبٍ لعلهم يتنصّرون. وإنهم أولو الطَّول وأنتم الفقراء، وفُتح عليهم أبواب الدنيا وأنتم في البؤس تصبحون وتُمسُون. وتلك فتنة أكبر من كلّ فتنة، وبليّةٌ أشدّ من كلّ بليّة، فإنكم تحتاجون إلى رُغفانهم وهم لا يحتاجون. وحلّوا أرضكم وملكتْها ملوكهم، فلا بدّ من تأثّرٍ كما تشاهدون.

ثم من إحدى المصائب أنّ أمراءكم على الدين يستهزئون، وفقراءكم على الدنيا يتجانؤون، فلا نجد قرّة العين من أولئكم ولا من هؤلاء، وإنّا من كلٍّ آئسون. وسَرّحْنا الطرْف في الطرفين، فأَخَذَنا ما يأخذ السقيم عند آثار الـــمنون. وما كان لكافرٍ أن يهزمكم، ولكن ذنوبكم هزمتْكم، وتركتم الحضرة وكذلك تُتركون. وإنّ الله نظر إلى قلوبكم، فما آنس فيها تُقاةً، فسلّط عليكم قومًا عُصاةً، وأعطاهم لتعذيبكم قناة، فهل أنتم منتهون؟

﴿إنَّ اللهَ لا يغيّر ما بقومٍ حتى يغيّروا ما بأنفسهم﴾[1]، فهل أنتم مغيّرون؟ و﴿ما يفعل الله بعذابكم إنْ شكرتم وآمنتم﴾[2]، فهل أنتم مؤمنون؟ أأنتم تظنّون أنكم أحياءٌ بهذا الذنب الدائم، والموت خير للفتى من عيشه عيش البهائم، فما لكم لا تتنبّهون؟

وإنّ النصرانية تأكُلكم كلّ يوم كما تأكل النار الحطب، ليتمّ ما قدّر الله وكتب. ووالله، إن هذا الوباء أكبر من كلّ وباءٍ، وهذه الزلزلة أكبر من كلّ زلزلة، وما نــزل عليكم ما نــزلَ إلا من ذنوبكم أيها الفاسقون. وإن الآفات الجسمانية لا تُهلك إلا جسمًا، وأما الآفات الروحانية فيُهلك[3] الجسم والروح والإيمان معًا. فلا تسبّوا أعداءكم، وسُبّوا أنفسكم إن كنتم تعقلون.

ما لكم لا تنظرون إلى السماء، وصرتم بني الغبْراء، وإن الله عرض عليكم حليب الدين فأنتم تعافون، ثم قدّم قومٌ إليكم لحمَ الخنازير فأنتم بالشوق تتمشّشون. ومن دخل منهم في دينكم فلا يدخل إلا كأهل النفاق، ويطوف طامعًا في الأسواق، مُكْدِيًا بالأوراق، وهم يكثرون وأنتم تقلّون. فإلام هذه الحياة أيها الجاهلون؟ تتمـــايلون على أموال الدنيا، وما تبصرون من أين تقتنئون. وترون الخـــوان وما ترون المُضلّ الخوّان، كأنكم قوم عمون. وتتركون العِشـــاء،

---

[1] *سورة الرعد: ١٢* [2] *سورة النساء: ١٤٨*

[3] *هكذا ورد في الأصل ويبدو أنه سهو، والصحيح: "فتُهلِك"، حيث وردت الكلمة نفسها بصورة صحيحة في الجملة السابقة. (الناشر)*

وبالندامى تَغْتَبِقُون. وتعيشون كُسالى، ولا تمسّون الدين بإصبع ولا له تتألّمون. ثم تقولون إنّا بذلنا الجهد حقّ الجهد وإنّا مستفرغون. فكّروا يا فتيان، ألم يأن أن يرسل الله إمامًا في هذه العمران؟ وإنكم تنقضون عهد الله وتقطعون ما أمر الله به أن يوصل وفي الأرض تفسدون. ووالله، إن الوقت هذا الوقت فما لكم لا تتقبّلون؟

وإني، والله، في هذا الأمر كعبة المحتاج، كما أن في مكّة كعبة الحجّاج، وإني أنا الحجر الأسود الذي وُضع له القبول في الأرض والناس بمسّه يتبرّكون*. لعن الله قومًا يقولون إنه يريد الدنيا، وإنّا من الدنيا مُبْعَدون. وجئتُ لأُقيم الناس على التوحيد والصلاة، لا لإقناء أنواع الصِّلات. والله يعلم ما في قلبي، ويشهد بآياته أنهم كاذبون. ما كان حديث يفترى، بل جئت بالحق، وبالحق أرسلت، فما لكم لا تعرفون. وإني أنا ضالّتكم، لا مضلّكم أيها المسلمون. فهل فيكم من يقبل دعوتي، وينظر بحسن النظر إلى كلمتي؟ أليس فيكم رجل رشيد أيها المستكبرون؟ ولو لم أُبْعَثْ، يا فتيان، في هذا الزمان، لوطّأ الدِّينَ أهلُ الصلبان. وإن هذا السيلَ بلغ الرؤوس، وأفنى النفوس، أَلا تعلمون القسوس كيف يُضلّون؟ وما أُرسلتُ إلا عند ضلالٍ نجّس الأرض وأهلك أهلها، فما لكم لا تفهمون؟ ووالله، ليس في الدهر أعجب من حالكم! كيف طال

* هذا خلاصة ما أوحى الله إليّ، وهذه استعارة من الله الكريم. وكذلك قال المعبّرون أن المراد من الحجر الأسود في علم الرؤيا المرء العالم الفقيه الحكيم. منه.

إعراضكم وصَفْحُكم عني، وقد رأيتم الآيات وأُعطيتم البيّنات فنبذتموها كالحصاة. وفُتح لكم باب الحسنات، فغلّقتم أبوابكم، لئلا تدخل في العرصات. ما لكم لا تتّقون حرمات الله وللتكذيب تعجلون؟ وإن الله سيّاف يسلّ سيفه على الذين يعتدون.

وإني أنا المسيح الموعود، وأنتم تكذّبونني وتسبّون، وتقولون إنّ هذا الدعوى باطلٌ وقولٌ خالفه الأوّلون. فأعجبني قولكم هذا مع دعاوي العلم والفضل! أتقولون ما يخالف القرآن وأنتم تعلمون؟ وإن دعوى الإجماع بعد الصحابة دعوى باطل وكذب شنيع لا يصرّ عليه إلا الظالمون. وأنّى الإجماع؟ أتنسون ما قال المعتزلون؟ أتزعمون أنهم ليسوا من المسلمين وأنتم قوم مسلمون؟ فثبت أن قولكم ليس قولاً واحدًا، بل ادّارءْتم فيها، فالآن يحكم الله فيما كنتم فيه تختلفون.

وعندي شهادات من ربي وآيات رأيتموها أأنتم تنكرون؟ إن الذين خلوا من قبلي لا إثم عليهم وهم مبرّؤون، والذين بلغتْهم دعوتي، ورأوا آياتي، وعرفوني وعرّفْتُهم بنفسي، وتمّتْ عليهم حُجّتي، ثم كفروا بآيات الله وآذوني.. أولئك قوم حقّ عليهم عقاب الله، بأنهم لا يخافون الله، وبآي الله ورسله يستهزئون. وما جئتهم من غير بيّنة، بل أراهم ربي آيةً على آية، ومعجزة على معجزة، وأقيمت الحجّة، وقُضي التنازع والخصومة، ثم على الإنكار يصرّون. أيحاربون الله بما أنه جعلني المسيح الموعود

والمهدي المعهود، وله الأمر ولـــه الحكم، لا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون. وتنحّى بعضهم عن هذا النـــزاع خجلاً وجلاً ورجعـــوا إليّ تائبين، وأكثرهم قاسطون.

أيصرّون على حياة عيسى، ويخفون إجماعًا اتفق عليه الصحابة كلّهم أجمعون؟ ويتّبعون غير سبيل قوم أدركوا صحبة رســـول الله ﷺ، وكلّ واحدٍ منهم استفاض من النبيّ وتعلّمَ، وانعقد إجماعهم على موت عيسى، وهو الإجماع الأوّل بعد رســـول الله ويعلمـــه العالمون. أنسيتم قول الله: ﴿**قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسل**﴾[1] أو أنـــتم للكفر متعمّدون؟ وقد مات على هذا الإجماع مـــن كـــان مـــن الصحابة، ثم صرتم شيعًا، وهبّتْ فيكم ريح التفرقة، وما أوتيـــتم سلطانًا على حياته، وإن أنتم إلا تظنّون. وقد قال الله حكايةً عن عيسى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾، فلا تفكّرون في قول الله ولا تتوجّهون. ﴿أأنتم أعلم أم الله﴾[2]، أو تقولون ما لا تعلمون؟

ثم اعلموا أنّ حقّ اللفظ الموضوع لمعنى أن يوجد المعنى الموضوع له في جُمْعِ أفراده من غير تخصيص وتعيين، ولكنكم تخصّصـــون عيسى في المعنى الموضوع للتوفّي عندكم، وتقولون لا شريك له في ذلك المعنى في العالمين، كأنّ هذا المعنى تولّد عند تولّد ابن مـــريم، وما كان وجوده قبله ولا يكون بعده إلى يوم الدين! وهَبْ، يـــا فتى، أن عيسى لم يتولّدْ ولم يُرزَق الوجود من الحضرة، فبقي هذا

---

[1] *سورة آل عمران:١٤٥* [2] *سورة البقرة: ١٤١*

اللفظ كعاطلٍ محرومة من الحلية. فتفكّرْ ولا تُرِنا الأنياب، واتّق الله التوّاب. أتزعم أنّ هذا المعنى بساطٌ ما وطّأه إلا ابن مريم، أو سِماطٌ ما أَمَّهم إلا هذا الملك المكرّم؟

ولو فرضْنا أن معنى التوفّي في آية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ ليس إلا الرفع مع الجسم العنصريّ إلى السماء، ثم مع فرض هذا المعنى يكذّب هذه الآية نزول عيسى إلى الغبْراء، ولا يحصل مقصود الأعداء، بل يبقى أمر عدم النزول على حاله كما لا يخفى على العقلاء. فإن عيسى يجيب بهذا الجواب يوم الحساب يعني يقول: ﴿فلما توفّيتني﴾ في يوم يبعث الخلق ويحضرون، كما تقرؤون في القرآن أيها العاقلون. وخلاصة جوابه أنه يقول إني تركتُ أمّتي على التوحيد والإيمان بالله الغيور، ثم فارقتهم إلى يوم القيامة وما رجعتُ إلى الدنيا إلى يوم البعث والنشور، فلذلك لا أعلم ما صنعوا بعدي من الشرك والفجور، ولستُ من الملومين. فلو كان رجوعه إلى الدنيا أمرًا حقًّا قبل يوم القيامة فيلزم منه أنه يكذب كذبًا شنيعًا عند سؤال حضرة العزّة. وهذا باطلٌ بالبداهة. فالنزول باطلٌ من غير الشكّ والشبهة.

فاستيقظوا يا فتيان! أين أنتم من تعليم القرآن؟ بل مات عيسى كما ماتتْ إخوانه من النبيّين، ولحق بهم كما تقرؤون في أخبار خير المرسلين. أقرأتم في حديث سيّد الكائنات أنه في السماء في حجرة على حدة من الأموات؟ كلا.. بل هو ميّت، ولا يعود إلى

الدنيا إلى يوم يبعثون. ومن قال متعمّدا خلاف ذلك فهو من الذين هم بالقرآن يكفرون. إلا الذين خلوا مِن قَبْلي فهم عند ربهم معذورون.

ويشهد القرآن أنه يقول يوم القيامة إني ما كنت مطّلعًا على ارتداد الأُمّة، ولا أعلم أنهم اتّخذوني إلها من دون ربّ البريّة، وكذلك يبرّئ نفسه من علم فساد النصارى ووقوعهم في الضلالة. فلو كان نازلاً قبل القيامة لكان من شأنه أن يصدق بحضرة الله كما هو طريق البررة، بل هو من حُلل الرسالة والإمامة. فكيف يُظَنّ أنه يختار الكذب ويرتكب جُرْم إخفاء الشهادة، ويقول: يا ربّ، ما عُدتُ إلى الدنيا، وليس لي علم بأحوال أُمّتي، ولا أعلم ما صنعوا بعدي. فإن هذا كذب شنيع تقشعرّ منه الجلدة، وتأخذ منه الرعدة*. ولو فرضنا أنه يقول كمثل هذه الأقوال، ويخفي متعمّدًا زمن عوده إلى الدنيا عند سؤال الله ذي الجلال، ويُخفي حقيقة اطّلاعه على كفر أُمّته وإصرارهم على طريق الضلال، فلا شكّ أن الله يقول له: يا عيسى، ما لك لا تخاف عزّتي وجلالي، وتكذب أمام وجهي عند سؤالي؟ ألستَ ذهبت إلى الدنيا عند رجْعتك،

---

*روى الإمام البخاري عن المغيرة بن النعمان قال، قال رسول الله ﷺ: إنه يجاء برجال من أمّتي (يعني يوم القيامة)، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا ربّ أصيحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول كما قال العبد الصالح (يعني عيسى): وكنتُ عليهم شهيدًا ما دمْتُ فيهم فلمّا تَوَفَّيتني كنت أنت الرقيب عليهم. وكذلك روى البخاريّ في معنى التوفّي عن ابن عباس قال: متوفّيك: مميتك. منه.

وأعثرت على شرك أمّتك؟ ألم تر الذين اتّخذوك إلها انتشروا في جميع البلاد، ونسلوا من كلّ حدب كالجياد، وأنت حاربْتهم وكسرت صليبهم بجهدك وطاقتك، ثم تنكر الآن من نزولك، فأعجبني كذبك وفريتك!

فخلاصة الكلام أنّ قولكم برفع عيسى باطل، ومضرّ للدين كأنه قاتل.

وتقولون: لفظ الرفع في القرآن موجود. نعم، موجود، ولكن معناه مِن لفظ ﴿متوفّيك﴾ مشهود، بل جميع كَلِمِ الآية على الرفع الروحاني شهود. أتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض؟ أهذا إسلامكم أو كفر وعنود؟ أو تريدون أن تحرّفوا كتاب الله كما حرّف اليهود؟ ألا ترون أن لفظ ﴿متوفّيك﴾ مقدَّم على لفظ الرفع وفي القرآن موجود؟ فما لكم تتركون رعاية الترتيب، وتختارون ما يضرّكم، وتعرضون عما ينفعكم، وتجاوزون الحدود؟ ألم يَنْهَكم الله أن تحرّفوا معنى القرآن، ولا تتّبعوا سبل الشيطان؟ ووالله، ثم والله، ما صرفكم عن الحقّ إلا التعصّب والعناد، وحسبتم الفساد الكبير كأنّ فيه رفْع الفساد.

وتقولون لي: أنت كَفّرت أهل القبلة، وخالفت قول خير البريّة. يا سبحان الله! كيف نسيتم فتاواكم بهذه العجلة؟ وما ابتدرنا بالتكفير وما بدأْنا بالتحقير. أما أشعتم كُفْرنا في هذه الديار وفي الآفاق، وفي السِّكَكِ والأسواق؟ أنسيتم قرطاس الإفتاء، وما

قلتم وما تقولون بترك الحياء؟ وجاهدتم كُلّ الجهد لتنقضوا ما عقدْنا، ولتبطلوا ما أردْنا، وكذلك مكرتم كلّ المكر إلى عشرين حجّةً بل أزيد من ذلك عِدّة، وأثرتم من كلّ نوعٍ فتنةً، وقُلتم كلّ ما أردتم في شأني من السبّ والشتم، ثم أشعتموه في الأغيار والأحباب، كأنكم مبرَّؤون من المؤاخذة والحساب. ولكن الله أتمّ نورًا أردتم إطفاءه، وملأ بحرًا تمنّيتم أن تغيض ماؤه، ودعوتم لنا أرضًا جدبة، فآوانا الله إلى ربوة*، ووادٍ خضر وروضة، ورزقنا نعماء وآلاء وبركات ما رأيتموها ولا آباؤكم. أهذا جزاء الفرية؟ أعَثرْتم على مثله في زمان من الأزمنة؟

فاعلموا، رحمكم الله، أن صدق دعواي وموت عيسى ما كان أمرًا متعسّرَ المعرفة، ولكن طوّعَتْ لكم أنفسكم تكذيب إمامكم، فزاغت قلوبكم، وما فكّرتم حقّ الفكرة. وقد جئتكم بالآيات والشواهد والبيّنات، وقد فتح الله عليّ أمرًا أخفاه عليكم في ابن مريم، وذلك فضله أنه فهّمني أمرًا ما أعثركم عليه وما فهّم. أم حسبتم أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا

* قد قال الله ﷻ في القرآن: ﴿وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين﴾، ولمّا جعلني الله مثيل عيسى جعل لي السلطنة البرطانية ربوةَ أمنٍ وراحةٍ ومستقرًّا حسنًا. فالحمد لله مأوى المظلومين. ولله الحِكَم والمصالح، ما كان لأحدٍ أن يؤذي من عصمه الله، والله خير العاصمين. منه.

من آياتنا عجبًا[1]. إن الله أخفانا من أعينكم إلى قرون، وأَسْبَلَ عليها حجبا، فكنتم تنتظرون نزول المسيح من السماء، وصرف الله أفكاركم عن الحقيقة الغرّاء، ليظهر عليكم عجزكم في أسرار حضرة الكبرياء. ذلك من سنن الله ليعلّمكم أدبًا عند إظهار الآراء. فما تشابه الأمر عليكم إلا من فتنة أراد الله ليبتليكم بها، فأظهرها بعد هذا الإخفاء.

وأيّ ذنب أكبر من ذلك أن الله يخبر في القرآن بموت عيسى ويخبر بأن عيسى يقرّ يوم القيامة بموته قبل كُفْر أمّته وعدم علْمه به كما مضى، والنبيّ يقول إني رأيته ليلة المعراج في الموتى عند يحيى، ثم أنتم ترفعونه مع الجسم إلى السماء؟ فما رأينا أعجب من هذا! فما لكم لا تفقهون حديثا؟ وإنّ قولي قولٌ فيصل، فلن تجدوا عنه محيصا. تصرّون على حياته، ولا تؤتون عليه دليلا، ﴿ومن أصدق من الله قيلا﴾[2]؟

وليس جوابكم من أن تقولوا إنّ آباءنا كانوا على هذا الاعتقاد، وإن كان آباؤكم عدلوا عن طريق السداد. وأيّ شيءٍ خيالاتُ

---

[1] هذا ما أوحى إليّ ربي بوحي القرآن[@]، وكذلك أخفاني ربي كما أخفى أصحاب الكهف، وإن ذلك من سنن الله أنه يخفي بعض أسراره من أعين الناس ليعلموا أن علمهم قاصر، وليبتلي الله عباده، وليرى المؤمنين منهم والمجرمين. منه.

[@] *اعلم أنه ليس المراد من قوله عليه السلام "بوحي القرآن" هنا أن جميع كلمات هذا الوحي متطابقة لما ورد في القرآن، بل المراد أن الوحي المذكور - كما يتضح ذلك من كتابات أخرى لسيدنا أحمد عليه السلام - قد نزل عليه بأسلوب القرآن وبمعظم كلماته. (الناشر)*

[2] *سورة النساء: ١٢٣*

أُناسٍ ظهروا بعد الصحابة بل بعد القرون الثلاثة؟ وما كان حقّهم أن يُؤَوِّلوا أنباء الله قبل وقوعها، بل كان من حسن الأدب أن يفوّضوا إلى الله مجاري ينبوعها، وكذلك كانت سيرة كبراء الأمّة. إنهم كانوا لا يصرّون على معنى عند بيان الأنباء الغيبية، بل كانوا يؤمنون بها ويفوّضون تفاصيلها إلى عالم الحقيقة. وهذا هو المذهب الأحوط عند أهل التقوى وأهل الفطنة. ثم خلَف مِن بعدهم خلفٌ جاوزوا حدّ علمهم وحدّ المعرفة، ونسوا ما قيل: ﴿لا تَقْفُ ما ليس لك به علم﴾[1] وطفَروا في كلّ موطن طَفْرَ البقّة، وأصرّوا على أمرٍ ما أحاطوه حقّ الإحاطة. يا حسراتٍ عليهم وعلى جرأتهم! قد أصابت الملّة منهم صدمةٌ هي أُختٌ صدمة النصرانية، وما هم إلا كجذْب لسنوات الملّة. يرفعون عيسى مع جسمه إلى السماء، ولا يتدبّرون قوله تعالى: ﴿قُلْ سبحان ربّي﴾[2] بل يزيدون في البغض والشحناء.

يا فتيان.. أين أنتم من تلك الآيات، ولِمَ تتّبعون ما تشابه من القول وتتركون البيّنات المحكمات؟ ألا تعلمون أن الكفّار طلبوا في

---

[1] *سورة الإسراء: ٣٧*

[2] أعني آية: ﴿قُلْ سبحان ربّي هَلْ كُنتُ إلا بشرًا رسولاً﴾،* فلا شك أن هذه الآية دليل واضحٌ على امتناع صعود بشر إلى السماء مع جسمه العنصريّ، ولا ينكره إلا الجاهلون. وفي قوله تعالى: ﴿سبحان ربّي﴾ إشارة إلى آية: ﴿فيها تحيون وفيها تموتون﴾ ◈ فإن رفع بشر إلى السماء أمرٌ ينقض هذا العهد، فسبحانه وتعالى عما ينقض عهده، ففكّروا أيها العاقلون. منه.

* *سورة الإسراء: ٩٤*

◈ *سورة الأعراف: ٢٦*

هذه الآية معجزة الصعود إلى السماء، من نبيّنا خير الأنبياء وزُبدة الأصفياء، فأجابهم الله أن رفع بشرٍ مع جسمه ليس من عادته، بل هو خلاف مواعيده وسنّته. ولو فُرض أن عيسى رُفع مع جسمه إلى السماء الثانية، فما معنى هذا المنع في هذه الآية؟ ألم يكن عيسى بشرًا عند حضرة العزّة؟ ثم أيّ حاجة اشتدّت لرفعه إلى السماوات العُلى؟ أأَرْهَقَتْه الأرض بضيقها، أو ما بقي مفرّ من أيدي اليهود فيها، فرُفع إلى السماء ليُخفى؟

أيُّها الناس.. لا تجاوزوا حدود النهج القويم، وزِنوا بالقسطاس المستقيم. ووالله، إن موت عيسى خير للإسلام من حياته، وكلّ فتح الدين في مماته. أتستبدلون الذي هو شرّ بالذي هو خير، ولا تُفرّقون بين النفع والضَّير؟ ووالله، لن يجتمع حياة هذا الدين وحياة ابن مريم، وقد رأيتم ما عَمَّرَ حياتُه إلى هذا الوقت وما هدّم، وترون كيف نصَر النصارى حياتُه وقدّم، وجرّح الدينَ الأقوم. ولما ثبت ضيره فيما بين يدينا، فكيف يُتوقّع خيره فيما خَلْفَنا؟ وإذا جرّبنا إلى طول الزمان مضرّات حياته، فأيّ خير يرجى من هذه العقيدة بعد ذلك مع ثبوت معرّاته؟ والعاقل لا يعرض عن مجرّباته. وإن الله يوافي دروب الحكمة، ويرحم عباده ويعصمهم من أبواب الضلالة. ولا شكّ أنّ حياة عيسى وعقيدة نزوله باب من أبواب الإضلال، ولا يتوقّع منه إلا أنواع الوبال. ولله في أفعاله حِكم لا تعرفونها، ومصالح لا تمسّونها. ففكّروا، رحمكم الله.. إن عقيدة

حياة عيسى كما تصرّون عليه إلى هذا الآن، ثم عقيدة نزوله في آخر الزمان، أمرٌ ما أفادكم مثقال ذرّة، وما أيّد ديننا الذي هو خير الأديان، بل أيّد دين النصارى وأدخل أفواجا من المسلمين في أهل الصّلبان. فلا أدري أيّ حاجة أحسستم لنزوله يا معشر المسلمين؟ وإن حياته يضرّكم ولا ينفعكم. أما رأيتم ضررًا فيما مضى من السنين؟ أنفعتْكم هذه العقيدة فيما مرّ من الزمان؟ بل ما زادتْكم غير تتبيب وارتداد الرجال والنسوان. فأيّ خير يُرجى منه بعده يا فتيان؟ ورأيتم المتنصّرين ما جُذبوا إلى القسيسين إلا بهذه الحبال، وهذا هو اللصّ الذي ألقاهم في بئر الضلال. وكانوا ذراري هذه الملّة، ثم صاروا كالحيوات أو كسباع الأجمة. وعادَوا الإسلام وسبّوه بأنْكرِ أصواتِ نهيقٍ، وتركوا أقاربهم ووالديهم في زفيرٍ وشهيق، ووقفوا نفوسهم على سبّ خير البريّة وتوهينِ كتابٍ هو أكمل من الكتب السابقة، وقالوا: قريضٌ، وأيّ رجلٍ منه مستفيض؟ واتّخذوا ديننا سُخرة، ولا يذكرونه إلا طعنة. وقالوا إنْ متُّم على هذا الدين دخلتم النار باليقين.

فاعلمْ، وفّقك الله للصواب، وجنّبك طرق العتاب، أنّ هذه الفتنة التي حسبتموها هيّنًا هي عند الله عظيم، وقد أهلكت أفواجًا منكم وأدخلتها في نار الجحيم، ولذلك ذكرها الله ﷻ في مواضع من كتابه الكريم، ونسب إليها تفطُّرَ السماء وخرَّ الجبالِ وظهور آثار الغضب العظيم. فوالله، إني أعجب كلّ العجب من أنّ

المسلمين نصروا النصارى بقول يخالف قول حضرة الكبرياء، وقالوا إنّ عيسى رُفع مع جسمه العنصريّ إلى السماء، ثم ينزل في زمانٍ إلى الغبراء. وهذا هو الدليل الأعظم عند النصارى على اتّخاذه إلـهًا، وبه يُضلّون كثيرًا من الجُهلاء. والحقُّ أنه مات ولحق الأموات، وعلى ذلك دلايل كثيرة من الكتاب والسنّة، وقد ذكر القرآن موته في المقامات المتعدّدة، ورآه نبيّنا ﷺ في الموتى ليلة المعراج عند يحيى في السماء الثانية. وأيّ شهادة أكبر وأعظم من هذه الشهادة؟ ثم مع ذلك يصول الجهلاء عليّ عند سماع هذه الكلمة، ويقولون: لو كان السيف لقتلْناك. وإن سيف الله أَحَدُّ من سيوف هذه الفرقة. ألم ير بعضهم ضرْب سيفه عند المباهلة؟ وقد تكرّر في القرآن ذكر موت عيسى، وذكر إيوائه إلى ربوةٍ ذات قرار ومعين. وثبت بدلايل أُخرى أنها أرض "كاشمير" باليقين. ووُجد فيها قبر عيسى، ووجد هذه القصّة في كتب قديمة لا بدّ من قبولها، وحصحص الحقّ، فالحمد لله ربّ العالمين. وشهد سكّان هذه الأرض أنه قبر نبيّ كان من بني إسرائيل، وكان هاجر إلى هذه الأرض بعد إيذاء قومه، ومرّ عليه قريب من الألفين بالتخمين.

فملخّص الكلام أنّ موت عيسى ثابت بالبرهان، ولا ينكره إلا من أنكر نصوص الحديث والقرآن. ولو شاء الله لفهّم من أنكره، ولكنّه يضلّ من يشاء، ويهدي من يشاء، وإليه يرجعون. وإنْ

يتّبعون إلا ظنًّا، وما نرى في أيـــديهم حُجّـــة بهـــا يتمسّـــكون. والتمسّك بالأقوال الظنية تجاه النصوص التي هي قطعيّـــة الدلالـــة خيانة وخروج من طريق التقوى. فويلٌ للذين لا ينتهون.

سيقول الذين لا يتدبّرون إن عيسى علم للساعة: ﴿وإنْ مـــن أهل الكتاب إلا لَيُؤْمِنَنَّ به قبل موته﴾❶، ذلك قول سمعـــوا مـــن الآباء، وما تدبّروه كالعقلاء. ما لهم لا يعلمون أن المراد من العلم تولّده من غير أبٍ على طريق المعجزة، كمـــا تقـــدّم ذكـــره في الصحف السابقة، ولا ينكره أحد من أهل العلم والفطنة. وأمـــا إيمان أهل الكتاب كلّهم بعيسى كما ظنّوا في معنى الآية المذكورة، فأنت تعلم حقيقة إيمانهم، لا حاجة إلى التذكرة. وتعلم أنّ أفواجًا من اليهود قد ماتوا و لم يؤمنوا به، فلا تُحرِّفْ كلام الله لعقيدة هي باطلة بالبداهة. وقد قال الله تعالى: ﴿أَلْقَينَا بَينَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَآءَ إِلى يَومِ الْقِيَامَةِ﴾❷. فكيف العداوة بعد الإيمان بعيسى؟ ألم يبق في رأسكم ذرّة من الفطنة؟ أليس في هذه الآية ردٌّ على من زعـــم أن جميع فرق اليهود يؤمنون بعيسى؟ فما لكم تخالفون النصّ الـــذي هو أظهر وأجلى؟ فأيّ آية بقيتْ في أيـــديكم بهـــا تتمسّـــكون؟ فأعجبني حالكم! بأيّ دليل تخاصمون؟

وإن الله ذكر موت عيسى غير مرّة في القرآن، فمـــا لكـــم لا تتذكّرون؟ ويستحيل التناقض في كلام الله ربّ العالمين. ما لكـــم

❶ سورة النساء:١٦٠ ❷ سورة المائدة: ٦٥

إنكم تعاندون المعقول، وتكذّبون المنقول، ونَعرض عليكم كلام الله ثم تمرّون معرضين. وتعلمون أنّ نزول المسيح الموعود بدون تخصيصٍ أمرٌ نؤمن به وتؤمنون به من غير خلاف. فأصل النزاع بيننا وبينكم في نزول ابن مريم من السماء، فقضى الله هذا النزاع بإخبار موته في صُحفه الغرّاء. فمن يُرِدِ الله أن يهديه يشرَحْ صدره لبيان القرآن. وأيّ كتاب عندنا أو عندكم يُتمسّك به بعد الفرقان؟

يا حسراتٍ عليكم.. لا تحضرون للمناظرة ولا تجيئون للمباهلة، ومِن بعيد تطعنون. وعندنا دلائل كثيرة من كتاب الله وسنّة رسوله فكيف نَعرض على الذين يُعرضون؟ ألا يعلمون أن المبتدعين والكافرين لا يؤيَّدون من الله ولا هم يُنصرون؟ ولا قبول لهم عند الله، ولا هُم كالأبرار يؤثَرون؟ وأيّ ذنب ينسبون إليّ من غير أني نعيت إليهم بموت عيسى، وقد ماتتْ من قبله النبيّون. أيُعرضون عن الإجماع المستند إلى النصّ الجَلِيّ، أم هم الحاكمون؟ والله، إن عيسى مات، وإنهم يعاندون الحقّ الصريح، ويقولون ما يخالف القرآن وما يخافون. وأيّ إشكال يأخذهم في موت عيسى، بل هم قوم مسرفون. يخصّصونه بصفة لا توجد في أحد من الناس، ويؤيّدون النصارى وهم يعلمون. وكيف تقبل غيرةُ الله أن يُخصَّص أحد بصفة لا شريك له فيها من بدء الدنيا إلى آخرها، وأيّ عقيدة أقرب إلى الكفر منها، لو كانوا يتدبّرون. فإن

التخصيص أساس الشرك، وأيّ ذنب أكبر من الشرك أيّها الجاهلون؟

وإذ قالت النصارى إن عيسى ابن الله بما تولّد من غير أب، وكانوا به يتمسّكون، فأجابهم الله بقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾*، ولكنا لا نرى جوابَ خصوصيةِ رفعِ عيسى ونزوله في القرآن، مع أنه أكبر الدلايل على ألوهيّة عيسى عند أهل الصُّلبان. فلو كان أمر صعود عيسى وهبوطه صحيحًا في علم ربّنا الرحمن، لكان من الواجب أن يذكر الله مثيل عيسى في هذه الصفة في الفرقان، كما ذكر آدم ليبطل به حُجّة أهل الصلبان. فلا شك أن في ترك الجواب إشعار بأن هذه القصّة باطلة لا أصل لها وليس إلا كالهذيان. أتعلمون أيّ مصلحة منعت الله من هذا الجواب؟ وقد كان حقًّا على الله أن يجيب ويجيح زعم النصارى بالاستيعاب.

وإن علماء النصارى قوم يزيدون كلّ يوم في غلوّهم، ولا يلتفتون إلى الحقّ من تكبّرهم وعلوّهم. وإني أتممت عليهم حجّة الله لتأييد الإسلام، وألّفت فيها كُتبًا وأشعتها إلى ديار بعيدة لنفع الأنام. فلمّا جرّ الجدال فينا ذيله، وما رأيت أحدًا أن يُظهر إلى الإسلام ميله، فهمت أن الأمر محتاج إلى نصرة الله المنّان، ولست بشيءٍ حتى يدركني رحمة الرحمن. فخررت على الحضرة سائلاً

* *سورة آل عمران:٦٠*

للنصرة، وما كنت إلا كالميّت. فأحياني ربي بالكلمتين، ونَوّر العينين، وقال: يا أحمدُ بارك الله فيك. الرّحمن علّم القرآن. لتنذر قومًا ما أُنذرَ آباؤهم، ولتستبين سبيل المجرمين. قُلْ إني أُمرت وأنا أوّل المؤمنين*. وبشّرني بأنّ الدّين يُعلى ويشاع، ومثلك دُرٌّ لا يضاع. وكان هذا أوّل ما أوحيَ إلى هذا الحقير، من الله القدير النصير. وبشّرني ربي بأنه يُظهر لي آيات باهرات، وينصرني بتأييدات متواترات، ليحقّ الحقّ ويُبطل الباطل، بالحجج القاهرة، والمعجزاتِ الباهرة.

ثم بعد ذلك دعوتُ القسّيسين والنصارى والمتنصّرين وغيرهم من البراهمة والمشركين، وقلت: جرِّبوا الحقّ بآيات الله ونصرته، ليظهر من يُنصر من الله ومن يكون محلّ لعنته. فما بارزوا لهذا

* إن الأعداء من أهل القبلة يسمّونني أوّل الكافرين، فسبق القول من الله لردّهم في كتابي "البراهين"، وقال: قُلْ إني أُمرتُ وأنا أوّل المؤمنين. وقالوا لا يُدفن هذا الرجل في مقابر المسلمين، فسبق القول من الرسول لردّهم، وقال إن المسيح الموعود يُدفن في قبري، وإنه يُبعث معي يوم الدين. وما كان هذا إلا جواب المكفّرين الذين يحسبونني من أهل جهنم، وإن كنتَ في شكّ فاسأل المفتين. ومن عجائب عالم البرزخ أن بعض الناس بعد موتهم يقرَّبون إلى روضة النبي التي تحتها الجنّة، وبعضهم يُبعَدون منها، فأخبر لي رسولي أني من المقرّبين. وهذا ردّ على من قال إنه من جهنّميين. وهذا الدفن الذي يكمّله الله على الطريقة الروحانية أمرٌ يوجد في كتاب الله وقول رسوله أثره، واتفق عليه طائفة قوم روحانيين.
وكذلك قالوا إن جماعة هذا الرجل قوم كافرون لا من المؤمنين، فلا تدفنوا موتاهم في مقابر المسلمين، فإنهم شرّ الكافرين. فأوحى إليّ ربّي وأشار إلى أرض وقال إنها أرض تحتها الجنّة، فمن دُفن فيها دخل الجنة، وإنه من الآمنين. فلولا أقوال الأعداء ما كان وجود هذه الآلاء. فهيّج غضبهم رحمة الله، فالحمد لله ربّ العالمين. منه.

النضال كالكُماة، واختفَوا في الوُكنات. ووالله، لو بارزوا لما رمى ربي إلا صايبًا، وما رجع أحد منهم إلا خاسرًا وخايبًا.

ووالله، إن فتّشتَ لرأيت الإسلام كَنْـزَ الآيات ومدينتها، وتجد فيه نورًا يهب لكلّ نفس سكينتها. فيا حسرة على قوم يكفرون بدفائنه، ولا يتوجّهون إلى خزائنه، ويحسبون الإسلام كالعظام الرميمة، لا مملوًّا من النعم العظيمة. أولئك قوم لا يؤمنون بأن يكلّم الله أحدًا بعد سيّدنا المصطفى، ويقولون قد خُتم على المكالمة بعد خير الورى. فكأنّ الله فقد في هذا الزمن صفة الكلام، وبقي صفة السمع فقط! ولعلّه يفقد صفة السمع أيضًا بعد هذه الأيّام. وإذا تعطّلتْ صفة التكلّم وصفة سماع الدعوات، فلا يُرْجى عافية الباقيات، أعني عند ذلك ارتفع الأمان من جميع الصفات. فمن أنكر أبديّة أحد من صفات حضرة العزّة فكأنّما أنكر جميعها ومال إلى الدهريّة. فما تقولون فيه يا أهل الفطنة: هل هو مسلِمٌ أو خرّ من منار الملّة؟

أتظنّون أن الإسلام مرادٌ من قصصٍ معدودة، وليست فيه آيات مشهودة؟ أأعرض عنّا ربّنا بعد وفاة سيّدنا خير البريّة؟ فأيُّ شيءٍ يدلّ على صدق هذه الملّة؟ أنسي الله وعد الإنعام الذي ذكره في سورة الفاتحة.. أعني جعْل هذه الأمّة كأنبياء الأمم السابقة؟ ألسنا بخير الأمم في القرآن؟ فأيُّ شيءٍ جَعَلَنا شرَّ الأمم على خلاف الفرقان؟ أيجوّز العقل أن نجاهد حقّ الجهاد لمعرفة الله ثم لا نوافي

دروبها، ونموت لنسيم الرحمة ثم لا نُرزَق هبوبها؟ أهذا حَدُّ كمال هذه الأُمّة، وقد وافت شمس عمر الدُّنيا غروبها؟ فاعلموا أنّ هذا الخيال كما هو باطل عند الفطنة التامّة، كذلك هو باطل نظرًا على الصُّحف المقدّسة.

وأيّ موتٍ هو أكبر من موت الحجاب؟ وأيّ عمًى أشدّ أذًى من عدم رؤيةِ وجه الله الوهاب؟ ولو كانت هذه الأُمّة كالأبكم والأصمّ، لمات العشّاق من هذا الهمّ، الذين يُذيبون وجودهم لوصال المحبوب، وما كانت مُنْيتهم في الدنيا إلا وصول هذا المطلوب، فمع ذلك كيف يتركهم حِبّهم في لظى الاضطرار، وفي نار الانتظار؟ ولو كان كذلك لكان هذا القوم أشقى الأقوام، لا تُسفر صباحهم، ولا تُسمع صياحهم، ويموتون في بكاء وأنين. كلا.. بل الله أرحم الراحمين. وإنه ما خلق جوعًا إلا خلق معه طعامًا للجوعان، وما خلق غليلاً إلا خلق معه ماءً للعطشان، وكذلك جرت سنّته لطُلباء العرفان. وإني عاينتها فكيف أنكرها بعد المعاينة، وجرّبتها فكيف أشكّ فيها بعد التجربة.

ولا بدّ لنا أَنْ ندعو الناس إلى ما وجدناه على وجه البصيرة. فوجب على كلّ من يؤمن بالله الوحيد، ولا يأنف من كلمة التوحيد، أن لا يقنع بالأَطْمار، ويطلب السابغات من حلل الدين، ويرغب في تكميل الدثار والشعار، ويقرع باب الكريم بكمال الصدق والاضطرار. وإنه جوّاد لا يَسْأم من سؤال الناس، وإنّ

خزائنه خارجة من الحدّ والقياس. فمن زاد سؤالاً زاد نوالاً. فمِن حُسن الإيمان أن لا ييأس العبد من عطائه، ولا يحسب بابه مسدودًا على أحبّائه. وإنّكم أيّها الناس تحتاجون إلى نعم الله وآلائه، فمن الشقوة أن تردّوا نعمه بعد إعطائه. وأيّ جوعانٍ أشقى من جائع أشرف على الموت، وإذا عُرض عليه طعام لذيذٍ ورغيف لطيف ردّه وما أخذه وما نظر إليه، وهو فَلُّ الجوعِ وطريده، ومع ذلك لا يريده!

فاعلموا أيها الإخوان، رحمكم الله الرحمن.. إني جئتكم بطعام من السماء، وقد حقّق الله لكم آمالكم على رأس هذه المائة، وكنتم تطلبونها بالدعاء، ففتح عليكم أبواب الآلاء، فهل أنتم تقبلون؟ وأعلم أنكم لن ترضوا عني حتى أتّبع عقائدكم، وكيف أترك وحي ربي وأتّبع أهواءكم، وهو القاهر فوق عباده وإليه ترجعون.

وإني أُعطيتُ آياتٍ وبركات، وأنواع النصرة وتأييدات، وإن الكاذبين لا يُفتح لهم هذا الباب، ولو لم يبق منهم بالمجاهدة إلا الأعصاب. أتظنّون أن الله يحبّ خوّانًا أثيمًا؟ وإني جئتُ لنصرتكم من جنابه، كأسد يطلع من غابه، ويصول كاشرا عن أنيابه، فأرُوني رجلا من القسيسين والملحدين والمشركين، من يبارزني في هذا المضمار، ويناضلني بآيات الله القهّار. ووالله إنّ كلّهم صيدي، وسدَّ الله عليهم طريق الفرار، لا يؤويهم أجمة، ولا بحر من البحار،

ونحن نفري الأرض مسارعين إليهم ونبريها بسرعة كالمنتهبين، وإنّا إن شاء الله نصل إليهم فاتحين فائزين*.

وإنّهم ما كانوا ليغلبوكم، ولكن ذهبتم إلى الفلاة من الحُماة، وإلى الموامي مِن حِمى الحامي، وأنفدتم زاد العلوم، وصرتم كالبائس المحروم، وجعلتم أنفسكم كشيخ مفنّد لا رأي له ولا عقل، أو كبهيمة لا تدري إلا البقل. لا تقبلون سلاحًا نزل من السماء من حضرة الكبرياء، أما أسلحة الدُّنيا فليست بشيءٍ بمقابلة هؤلاء الأعداء. فالآن مَسكنكم فلاةٌ عوراء، ودَشْتٌ ليس هنالك الماء. وإنكم تتركون متعمّدين عيونا جاريةً تروي العطشان، وتختارون موامي ولا تخافون الغيلان، وقد ذابت الهاجرة الأبدان. ما لكم لا تَأْوون إلى هذا الظل الرحب الذي ينجيكم من الحرور، ويهديكم إلى ماءٍ عذب، ويبعدكم عن حُفر القبور؟

وإن أكبر الدلايل على صدق من ادّعى الرسالة، هو وجود زمانٍ كمَّل الضلالة. وإن كنتم في شك من أمري فاصبروا حتى يحكمَ الله بيننا وهو خير الحاكمين. ألم يكفكم أنه جعل لنا فرقانًا بعد ما باهل العدا، وقالوا إنّ لنا الغلبة من الحضرة، فأهلك الله من هلك عن البيّنة، ومكرتم ومكر الله، والله خير الماكرين.

وترون كيف تخيّم الأعداء حولكم، وكيف نزل عليكم البلاء،

* أوحى إليّ ربّي وقال: أَستجيب في هذه الليلة كلّ ما دعوت، ومنها قوّة الإسلام وشوكته، وكان ١٦ مارج سنة ١٩٠٧م. منه.

وتذللتم لهم من ضعف أنفسكم وجذبتْكم إليهم الأهــواء، وقــد نحتوا حيلاً حيّرت البصائر والأبصار، فما لكم لا ترون إعصـــارًا أجاحت الأشجار؟ إنهم قوم يريدون لكم ارتدادا وضـــلالاً، ولا يألونكم خبالاً. وقد غلبوا أهـــلَ الأرض وجعلـــوهم كالغلمـــان والإماء، وكادوا أن يرموا سهامهم إلى السماء. ووالله لا قِبل لكم بهم، وإنْ أنتم عندهم إلا كالهباء. فقولوا أأَغْضَبُ علـــيكم أو لا أغضب؟ لم تنامون في هذا الأوان؟ أرضِيتم بالحيـــاة الـــدنيا مـــن الآخرة، فاثّاقلتم إلى الأرض كالسكران؟ وأيّ شيءٍ أنامكم، وقد صرتم غرض الخُسران؟ وأيّ طاقةٍ بقيتْ لكم يا فتيان؟ ووالله مـــا بقي إلا ربّنا المنّان. فلا أدري ما صنعتم وما تصنعون بالأســـباب. وكيف ينصركم عقلكم الذي ليس إلا كالـــذباب؟ وأيّ زينـــة تُظهرون بهذه الثياب؟

ولما قُمتُ فيكم وقلتُ إني من الله الكـــريم اشـــتعلتم غضـــبًا وسخطًا، وقلتم رجل افترى، وحسبتموني كالشيطان الرجيم. وما نظرتم إلى الوقت.. هل الوقت يقتضي دجالاً يُشيع الضـــلال، أو مصلحًا يحيي الدين، ويردّ إليكم ما زال؟ وإني أشهد الله على مـــا في قلبي، ووالله إني منه، ولست فعلت أمرًا من تزويـــري، وقـــد ظلمتم إذ عمدتم إلى تكفيري وتحقيري، وما نظرتم إلى ما صُـــبَّ على الإسلامِ في هذه الأيام. فنبكي عليكم بدموعٍ جارية، وعبرات متحدّرة، كما تضحكون علينا وتستهزئون. ما لكم لا تفكّـــرون

في أنفسكم ولا تنظرون في ضعف الإسلام؟ أما شبعتم من الدجاجلة، وتتمنّون دجالاً آخر في هذا الوقت المخوفة وفي هذه الأيام المنذرة؟ وقد جئتكم على رأس المائة، وعند الضرورة الحقّة، وشهد على صدقي الكسوف والخسوف والزلازل والطاعون. فأعجبني أنكم ترون الآيات ثم لا تزول الظنون! أهذه فراستكم أيّها العالمون؟ بل حال بينكم وبين تقواكم كِبرٌ كنتم تخفونه وتكتمون. وعميتْ عينكم فلا ترى فتن الأعداء، وتسمّونني دجّالاً ولا تبصرون. وتفتون بأني كافر بل أكفر مِن كلّ مَنْ كفر بالأنبياء، فمرحبًا بكم بهذا الإفتاء.

والعجب كل العجب أن الذين يريدون أن يجيحوا الدين من أهل الصلبان والمشركين ليسوا عندكم دجّالين، وأنا دجّال بل أكبر المفسدين! فلا نشكو إلا إلى الله رب العالمين. ولما صرْتُ عندكم كافرًا.. كيف يُرْجى أن ينفعكم موعظة من الكفّار؟ ولكني أردت أن أذكر ما أُوذيت في الله فلذلك أفْضى بنا الكلام إلى هذه الأذكار.

رحمكم الله.. ما لكم لا تتركون ظُلمًا وعدوانا، ولا تخافون عليمًا ديّانا؟ أيُّها الناس.. جئنا من الله على ميقاته، ونطقْنا بإنطاقه، نبلّغ إليكم الدعوة، وتنالنا عنكم اللعنة! فما أدري ما هذه الدناءة؟ إنكم حاذيتم اليهود حتى صكّتِ النعال بالنعال، وتشابهت الأقوال بالأقوال. إنهم كانوا لبخْلهم يسمّون نبيّ الله عيسى دجالاً،

وكذلك سُمّيت منكم بهذا الاسم، فضاهَيْتم بهم أفعالاً وأقوالاً. ولولا سيف الحكومة لأرى منكم ما رأى عيسى من الكفرة. ولذلك نشكر هذه الحكومة لا بسبيل المداهنة، بل على طريق شكر المنّة. ووالله إنّا رأينا تحت ظلّها أَمْنًا لا يرجَى من حكومة الإسلام في هذه الأيام، ولذلك لا يجوز عندنا أن يُرفَع عليهم السيف بالجهاد، وحرام على جميع المسلمين أن يحاربوهم ويقوموا للبغاوة والفساد. ذلك بأنهم أحسنوا إلينا بأنواع الامتنان، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ ولا شكّ أن حكومتهم لنا حمى الأمن، وبها عُصِمْنا من جور أهل الزمن. ومع ذلك لا نخفي أنّا نخالف القسيسين، بل إنّا لهم أوّل المخالفين. ذلك بأنهم يجعلون عبدًا ضعيفًا عاجزًا ربّ العالمين، وتركوا خالق السماوات والأرضين. والله يعلم أنهم من الكاذبين المفترين، والدجّالين المُحرّفين. ونعلم أن الحكومة ليست معهم، ولا تُغريهم بهذا الأمر ولا من المعاونين، بل إنهم ليسوا بالنصارى إلا بأفواههم. نحتوا القوانين من عند أنفسهم، وتركوا الإنجيل وراء ظهورهم، فكيف نقول إنهم النصارى، بل هم قوم آخرون، وسلكوا مسالك أُخرى، ولا يدرسون الأناجيل، ولا يعملون بأحكامها، ولا إليها يتوجّهون. ونجد فيهم عدلاً وإنصافًا عند الخصومات، وإني جرَّبْتُ بعضهم في بعض المخاصمات، ورأيتهم أنهم أقرب مودّةً إلينا، ولا يريدون الظلم ولا يتعمّدون. وإن اللّيل تحت ظلّهم خير من نهارٍ

رأينا تحت ظلّ المشركين، فوجب علينا شكرهم وإن لم نشكر فإنّا مذنبون.

فخلاصة الكلام.. إنّا وجدنا هذه الحكومة من المحسنين، فأوجب كتاب الله علينا أن نكون لها من الشاكرين، فلذلك نشكرهم ولا نبغي لهم إلا خيرا. وندعو الله أن يهديهم إلى الإسلام، وينجّيهم من عبادة عبد هو كمثلهم في المصائب والآلام، ويفتح عيونهم لدينه، ويُوَجّههم إلى خير الأديان، ويحفظهم في الدين والدُّنيا من الخُسران.

هذا دعاؤنا، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ ولا يجازي الحسنة بالسيئة إلا الذي آثم قلبه وصار كالشياطين، فلا نريد طريق القاسطين. وليس وجه كلامنا في هذه الرسالة إلا إلى علماء النصارى والقسيسين، الذين حسبوا سبّ الإسلام وتوهين سيّدنا خير الأنام فَرْضَ مذهبهم، فقمنا لدفعهم وذبّهم من الله تعالى، وهو ناصر دينه وهو خير الناصرين.

وقد خاطبني ربي لنصرة دينه بكلمة أجد فيها وعدًا كبيرًا، وقال: بَشِّرْهم بأيّام الله وذَكِّرْهم تذكيرا. فنعلم مطمئنين مستيقنين أن الله ينصر دينه ويعصمه من الأعداء، ويظهره على الأديان كلها من السماء، ولكن لا بالحرب والجهاد، بل بآيات قاهرة، ويَد تدقّ قِحْفَ الأعداء. وكذلك وجدنا في كتابه، ثم كمثله أوحىً إليّ ربي، وهذا ملخص الإيحاء. فلن يخلف الله وعده، ويري الذين

ظلموا جزاءهم أتمّ الجزاء.

وكذلك ظهرت الآثار في هذا الزمان، وتجلّى ربّنا لأهل الأرض بتجلٍّ قهريّ، فأرى آياتِ قهره في جميع البلدان. وكثير من الناس أفناهم الطاعون، وكثير منهم انتسفتْهم الزلازل وتلقّاهم المنون. والذين كانوا في البارحة ينومون في القصور، اليوم تراهم ميّتين في القبور. أقفرتْ منهم مجالس، وعُطّلتْ مقاصر، وحلّوا بدارٍ لا تتركهم أن يرجعوا إلى إخوانهم، أو ينزعوا دُورهم عن جيرانهم. وترى الناس لا يملكون الفرار من هذا الوباء، وما بقي لهم مفرّ تحت السماء.

ولا يُحمَل هذا البلاء على البَخْت والاتفاق، كما زعم أهل الشقاق، فالسعيد هو الذي عرف هذه الآيات، وولج شعب تلك الحرّات.

فاعلموا، رحمكم الله.. أن هذه المصائب من الأقدار التي ما رأيتم قبل هذا الزمان، ولا آباؤكم في حين من الأحيان، وإنما هي آيات لرجل بُعث فيكم من الله المنّان، ليجدّد الله دينه ويظهر براهينه، ويُخَضِّر بساتينه، ويثمّر أشجاره من الثمرات الطيّبات، وليجعل حطبه كالغصون الناعمات. كذلك ليعرف الناس دين الله القويم، ويميلوا كل الميل إلى ربهم الرحيم، وينفروا عن الدنيا نفورَ طبع الكريم. ولما أَسْفر صُبح الدين، وأرى شعاع البراهين، غضَّ أكثرُهم أبصارهم لئلا يبصروا، وعافوا دعوة الله وهم يعلمون. يا

حسرة عليهم.. من الخير يفرّون، وعلى الضير يتمايلون. قد حان أن يُفتَح الباب، فمن القارع المنتاب؟ وقد جرت العين لمن كانت له العين. والله غفور رحيم، لا يردّ من جاء بقلب سليم، ومن زاد سؤالاً يزِدْه نوالاً.

والعجب أن القوم جمعوا خصاصةً جسمانيةً مع خصاصة روحانية، ثم يحسبون أنّهم ليسوا بمحتاجين إلى مصلح من الله الكريم! وسُدّ عليهم كلّ بابٍ ثم يظنّون أنهم رُزقوا من كلّ نوع النعيم! قد رضوا بأن يعيشوا ً كالأنعام، معرضين عن آلاء الله والإنعام. فنتعجّب من قعود همّتهم، وخسّة حالتهم، ونسأل الله إصلاحهم، حتى يُرزقوا فلاحهم، ووقَفْنا على الدعاء لهم أكثرَ أوقاتنا ووقتَ الأسحار، والعينَ التي لا يملكها غُمضٌ من هذه الأفكار.

ووالله إني أخبرتهم بأيام الطاعون قبل ظهورها، وما نطقتُ إلا بعد ما أنطقني ربي وأعثرني على مستورها. ثم بعد ذلك أخذهم الطاعون، ونزل بهم المنون. وكان هذا الخبر في وقت ما اهتدى إليه رأي الأطبّاء، وما نطق به أحد من العقلاءِ، فوقع كما أخبر ربي، وكان هذا برهانًا عظيمًا من ربّ السماء. ولكن الناس ما سرّحوا الطرْف إليه، وما أفاض رجل ماء الدموع من عينيه، وما بادروا إلى التوبة والأعمال الحسنة، بل زادوا في المعاصي والسيئةِ. وكذّبوني وكفّروني، وقالوا دجّال لئيم، وما آنسني في

وحدتي إلا ربي الرحيم. واجتمعوا عليّ سبًّا وشتمًا، ولزموني ملازمة الغريم، وما عرفوني لبغضهم القديم، فاختفينا من أعينهم كأصحاب الكهف والرقيم. وجحدوا بآيات الله واستيقنتْها أنفسهم ظلما وعُلُوّا، فما أمكنهم الرجوع بعد ما أروا تشدّدًا وغُلُوًّا. ووالله إن الآيات قد نزلت كصيّب من السماوات. أشعلت المصابيح فما زالت ظلماتهم، وكثر الإنذار والتنبيه فما قلّت سيّئاتهم. عكفوا على حطب، وأعرضوا عن أشجار باسقة، وأثمار يانعة، وأزهار منوّرة. ووالله لا أدري لِمَ أعرضوا عني مع هذه الآياتِ البيّنات، وقد أتمّ الله حجّته عليهم وعلى كلّ من كان في الظلمات. ولما راعني منهم ما يروع الوحيدَ، أدركني عون ربي وكلَّ يومٍ زِيْدَ. وما زلت أُنصر وأؤيَّد، حتى تمّت الحجّة، وتواترت النصرة، وبلغت الآيات إلى حدّ لا أستطيع أن أُحْصيها، ولكني رأيت أن أكتب آية منها في آخر هذه الرسالة، لعلّ الله ينفع بها أحدًا من الطبايع السعيدة، ويعلم الناس أن نصرة الله قد أحاطت مشارق الأرض ومغاربها، وشاعت تغلغلها في أخيار العباد وعقاربها، حتى بلغت أشعّة هذه الآيات إلى بلاد أمريكة التي هي أبعد البلاد.

وكلّ ما أوحى الله إليّ من الآيات المنيرة، والبراهين الكبيرة، إنها ليست لي بل لتصديق الإسلام، وما أنا إلا أحد من الخدّام. وأعجبني حال المنكرين.. إنهم أصرّوا على التكذيب حتى صاروا

أوّل المعتدين! وكلٌّ جَهَدَ جهدَه، وبذل ما عنده ليطفــئ نــورًا نــزل من السماء، فزاد الله نوره، وما كان جهدهم إلا كالهبــاء. ورأينا فتنتهم كالبحر إذا ماج، والسيل إذا هاج، ولكن كان مآل الأمر فَتْحنا وهزيمتهم، وعزّتنا وذلّتهم. ولو كان هذا الأمر من غير الله لمزّقوني كلّ ممزّق، ولــمَحَوا نقشي من الأحياء، ولكن كانت يد الله تحفظني من شرّ الأعداء، حتى بلغت آياتي إلى أقصى البلاد، فما كان هذا إلا فعل رب العباد.

والآن نكتب آية ظهرت في بلاد أمريكة، وطلعتْ شمسنا مــن المشرق حتى أرتْ بريقَها أهلَ المغرب بصورٍ أنيقة. **فهذا فضل الله ورحمته، وعناية الله ومنّته، وبُشرى لقومٍ يعرفونه، وطــوبى لعبــادٍ يَقْبَلُونَه.**